

روايات عالمية للجيب
23
Looloo
www.dvd4arab.com
المؤسسة العربية الحديثة
كونغو..!
قصة : مايكل كرشتون
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

للمرة الثالثة نلتقى بمؤلف صرنا نعرفه جيدًا هو (مايكل كرشتون) .. وقد عرفناه من قبل مخرجًا متميزًا لفيلم (غيبوبة) ، ومؤلفًا مبدعًا لقصص الخيال العلمى كما فى (سلالة أندروميدا) ..

ولمن لم يقرءوا العمل الأخير نقول إن (كرشتون) طبيب ومؤلف ومخرج سينمائى ، ولد فى (شيكاغو) عام ١٩٤٢ ، وتخرج فى مدرسة (هارفارد) الطبية ، ثم نال درجة الزمالة فى معهد (سالك) فى (كاليفورنيا) ، وحاليًا هو يعمل فى معهد (ماساتشوستس) للعلوم التقنية ..

فى مجال الخيال العلمى كتب (كرشتون) :

- رجل الأطراف الكهربية.

- سرقة القطار الكبرى .
- أكلة الموتى .
- الكونغو .
- الكرة .
- حديقة العصر الجوراسى .
- سلالة أندروميدا .
وبعيدًا عن الخيال العلمى كتب :
- خمسة مرضى .
- حياة كهربية .
- رحلات .
- الفضيحة .
- مسألة احتياج .

ونحن اليوم نقدم له قصة ممتعة حقًا ، كتبها عام ١٩٨٠ ، والقصة تدعى (الكونغو) .. وفيها يبتعد نسبيًا عن عالم الطب المألوف لديه كى يرتاد مجاهل إفريقيا .. وهو يقدم لنا ذات العالم الذى استكشفه (رايدار هجارد) من قبل ، ولكن بلغة الإلكترونيات والعلم الحديث ..

ويقول (كرشتون) فى مقدمة الرواية :

- « إن مساحة إفريقيا لتبلغ اثنى عشر مليون ميل .. أى قدر مساحة أمريكا الشمالية وأوروبا معًا .. وإن جهلنا بقارة إفريقيا لفادح » ..

« تسمى (إفريقيا) بالقارة السوداء لسبب واحد فقد .. هو غابات الأمطار الاستوائية فى وسطها .. وهذه هى منطقة مصبّ نهر الكونغو ، حيث توجد غابة مظلمة رطبة مساحتها نصف مساحة الولايات المتحدة .. وهو مظهر جغرافى لم يتبدل على مدى ستين مليونًا من الأعوام » ..

« وحتى اليوم لا يسكن حوض الكونغو سوى نصف مليون نسمة ، يعيشون فى قرى متناثرة .. أما أكثر الغابة فيحوى آلاف الأميال المربعة التى لم تستكشف بعد ، ولم ترها عين غريبة حتى اليوم .. »

ويقارن (كرشتون) بين الحملة التى سنقابلها حالاً ، وبين حملة (ستانلى) التى استكشفت حوض الكونغو فى الأعوام ١٨٧٤ ـ ١٨٧٧ .. ويقول إن أساليب الاستكشاف تطورت كثيرًا ، لكن الغابة ظلت كما هى ..

سنقرأ الرواية معًا .. وسنلاحظ من جديد أسلوب

(كرشتون) المتميز جدًا ، المفرط فى التوثيق والاستطرادات العلمية .. بحيث يجعل من الرواية مزيجًا من الفنّ والدراسة الأكاديمية .

ولـ (كرشتون) إيقاعه الخاص فى قصصه .. فهو يكتب الأحداث على شكل فقرات مزدوجة .. الفقرة الأولى يخصصها للحدث .. والفقرة الثانية يخصصها للتفسير العلمى لهذا الحدث .

وكالعادة ينهى روايته بحشد من المراجع العلمية التى لجأ إليها ، وهو ما لم نقدمه هنا طلبًا للتبسيط ، ولأن فكرة (رواية ذات مراجع) تبدو غريبة بالنسبة لذوق قارئ العربية .

لكن الرواية ممتعة دون شك .. ولسوف يحبها القارئ بالتأكيد .

د . أحمد خالد

★ ★ ★

مقدمة : موضوع العظام

أقبل الفجر على غابة أمطار (الكونغو) ..

وأحرقت الشمس الشاحبة برد الصباح ، والضباب الرطب ، فتكشف عالم ضخم صامت .. أشجار هائلة الحجم تعلو مائتى قدم فوق الرءوس .. حيث تتشابك غصونها لتحجب السماء ، ويساقط الماء منها إلى الأرض .. بينما نباتات الأوركيد الطفيلية تتعلق بجذوع الأشجار ..

المكان كله شاسع أخضر .. يعطى انطباعًا بالغربة والعداوة للإنسان .

وضع (جان كروجر) بندقيته .. ومدد عضلاته المتصلبة .. فالفجر يهبط سريعًا على خط الاستواء ، وسرعان ما صار الضوء فى كل مكان ..

راح (جان) يرمق المعسكر الذى يحرسه ، ويتكون من ثمان خيام صفراء من (النايلون) .. وعلى صخرة جلس الحارس الآخر (ميسولو) الذى حياه ملوحًا بيده ناعسًا .. وعن كثب كانت أداة الاتصال : صندوق أسود وهوائى على شكل طبق فضى .. وكابلات تتصل

بكاميرا الفيديو الواقفة على حامل ثلاثى .. وعن طريق هذه الأداة كان الأمريكيون يرسلون تقارير يومية عبر القمر الصناعى إلى (هوستون) ..

كان (كروجر) هو الـ (بوانا موكوبوا) المسئول عن إرشاد هذه الحملة عبر الكونغو .. لقد قاد حملات سابقة : شركات بترول .. مساحى خرائط .. مجموعات جيولوجية مثل هذه .. وكان (كروجر) يجيد عمله .. ويتكلم السواحلية ولغة البانتو وقليلاً من لغة الباجندى .. وقد زار الكونغو مرارًا لكنه لم يزر (فيرونجا) قط ..

ولم يستطع قط فهم اهتمام الأمريكيين بزيارة منطقة (فيرونجا) فى (زائير) جنوبى غابة أمطار الكونغو .. إن (زائير) هى أغنى أقطار إفريقيا السوداء بالمعادن .. وأغنى بلاد العالم بالكوبالت والماس الصناعى .. وسابع الدول المنتجة للنحاس .. لكن أكثر هذه المعادن موجود فى (شابا) و(كازاى) وليس (فيرونجا) ..

لكنه استنتج دون سؤال أنهم يبحثون عن الذهب أو الماس ؛ حين رآهم يفتشون فى مجارى الأنهار وقاع الجداول ..

كانوا يبحثون عن الماس .. لكن ليس أى ماس .. إنهم يبحثون عن النوع المسمى (IIb) .. وكانوا يجرون اختبارًا كهربيًا على كل ماسة يجدونها .. ولم يكن يفهم المصطلحات التى يقولونها على غرار (أيونات الشبكة - المقاومة - الفجوات ثنائية الكهربية) .. لكنه كان يعرف أن هذه الماسات الزرقاء عديمة القيمة كمجوهرات .. إنها زرقاء من كثرة ما بها من شوائب ..

كان التنقيب جاريًا دون مشاكل ، فى منحنيات سلسلة (فيرونجا) البركانية ، إلى أن جاء اليوم الذى أبى فيه الحمالون التقدم أكثر ..

هذا الجزء من (فيرونجا) - كما قالوا - يدعى (كانيا ماجوفا) .. ومعناها (موضع العظام) .. وأن أى إنسان أحمق بما يكفى كى يتقدم ستتهشم عظامه وبالذات جمجمته ..

كان الحمالون من قبائل (آراوانيس) المتحدثة بلغة (البانتو) .. وكانوا ككل رجال القبائل يعتنقون كل أنواع الخرافات ..

نادى (كروجر) زعيمهم وسأله :

ـ « أية قبائل هناك ؟ » .

ـ « لا قبائل .. »

ـ « لا قبائل ؟ ولا حتى أقزام الـ (باميوتى) ؟ »

ـ « لا إنسان هنا .. هذا هو الـ (كانتيا ماجوفا) .. »

ـ « وما الذى يهشم العظام ؟ »

ـ « (داوا) .. » ـ قالها فى رهبة مستعملاً هذا المصطلح الدالّ على القوى السحرية ـ « (داوا) قوية هنا .. الرجال يبتعدون .. »

تنهد (كروجر) .. فهو ككل البيض قد سئم سماع لفظة (داوا) .. إن الـ (داوا) فى كل موضع هنا .. فى الصخور والعواصف والمزروعات ..

واضطر إلى قضاء باقى اليوم فى مفاوضات مضنية .. ضاعف أجور الحمالين ووعدهم بأسلحة نارية حين يعودون إلى (كيزانجانى) .. وكان يعرف عادة الحمالين فى زيادة أجورهم متى وصلت الحملة إلى مرحلة تجعلها تعتمد تمامًا عليهم ..

ولم يبال (كروجر) بشىء بعدها ، حتى حين

وصلت الحملة إلى أماكن تملؤها العظام المهشمة التى وجدها الحمالون مرعبة .. وبفحص العظام أدرك أنها ليست آدمية بل هى لقرود صغيرة .. لكن الكثير منها كان هنا .. إلا أنه قد اعتاد أن يجد أشياء كثيرة لا يمكن تفسيرها فى إفريقيا ..

كذلك لم يندهش لرؤية الخرائب التى تدلّ على مدينة قديمة هاهنا .

وفى الليلة الأولى عسكروا جوار الخرائب ..

كان الحمالون مذعورين .. يصرون على أن قوى الشر ستهاجمهم ليلاً .. واضطر (كروجر) إلى تعيين حارسين : هو وأكثر الحمالين جدارة بالثقة (ميسولو) .. كان هذا قرارًا سياسيًا ..

وكما توقع تمامًا مرّ الليل فى هدوء .. فقد سمع عند منتصف الليل صوت حركة فى الأحراش افترض أنها صوت فهد لأنه صوت أزيز .. وكل هذه القطط الكبيرة تعانى ضيق الشعب فى الأحراش ..

وجاء الفجر أخيرًا ..

دوّى صوت إشارة إلكترونية ، فسمعها الرجلان .. كان ضوء أحمر يتألق على أداة الاتصال .. وكان

(كروجر) يعرف كيف يشغلها فقد صمم الأمريكيون
على أن يتعلم ذلك .. كوسيلة طوارئ ..
انحنى على جهاز الاتصال وضغط على الأزرار
فظهرت كلمات :

TX HX

ومعناها أن الاتصال من (هوستون) .. ثم جاءت
رسالة تقول (AMLOK) .. أى أن (هوستون) تطلب
تشغيل كاميرا الفيديو ..
ضغط على زرّ الحامل فتألق ضوء أحمر على
الكاميرا .. ومعنى هذا أن الاتصال بدأ عبر القمر
الصناعى .. ويمكن البث خلال ست دقائق ..
عليه الآن أن يوقظ (دريسكول) رئيس فريق
الجيولوجيين .. وكان (كروجر) يشعر بالاستمتاع حين
يرى إصرار الأمريكيين على ارتداء قميص نظيف
وتمشيط شعرهم قبل الوقوف أمام الكاميرا .. كأنهم
مراسلو تلفزيون ..
هنا شعر بشيء يلطمه فى صدره .. ظن فى البدء
أنها حشرة .. ثم نظر إلى قميصه الخاكى فرأى بقعة
حمراء .. القردة الملاعين على الأشجار تقذفه

بالثمار .. انحنى والتقط الشيء الذى لطم صدره ،
فأدرك أنه ليس ثمرة فاكهة على الإطلاق .. إنها كرة
عين آدمية مازال العصب البصرى يتصل بمؤخرتها !
لوح ببندقيته .. فلم ير (ميسولو) دانيًا ..
نهض إلى موضع المعسكر .. القرود صامتة تمامًا
فوق الأشجار بينما هو يتجه عبر الوحل إلى خيام
النيام .. هنا سمع صوت الأزيز من جديد ..
عندها وجد (ميسولو) .. كان راقدًا على ظهره والدماء
تحيط برأسه وقد تهشمت جمجمته من الجانبين .. صار
وجهه ضيقًا مستطيلاً .. وفمه مفتوحًا فى تثاؤب مريع .. وقد
وثبت إحدى عينيه من محجرها بتأثير الضغط ..
شعر بقلبه يتواثب وهو ينحنى ليفحص الجسد ..
وتساءل عمّا يمكن أن يحدث إصابة كهذه ..
عندها سمع الأزيز ثانية .. وهذه المرة عرف يقينًا
أنه ليس صوت فهد .
بدأت القردة تصرخ .
بينما ركع (كروجر) على ركبتيه وأطلق صيحة
رعب ..

★ ★ ★

اليوم ١ : هوستون
١٣ يونيو ١٩٧٩

١ - ERTS

على بعد عشرة آلاف ميل ، فى غرفة المعلومات الخاصة بـ (هيئة الخدمات التكنولوجية للموارد الطبيعية) ولاختصارها ERTS ، جلست (كارين روس) أمام قدح من القهوة ، أمام شاشة الكمبيوتر ، تتابع آخر مشاهد من إفريقيا .

كانت (روس) هى مشرفة المشروع الخاص بالكونغو ..

دخلت إلى غرفة الاتصالات المربعة ، بعدما أولجت بطاقتها الإلكترونية فى فتحة الباب .. وسرعان ما انفتح الباب لها ..

كانت غرفة الاتصالات أقرب إلى رحم الأم الدافئ الهادئ .. خاصة مع الجو المغلق للغرفة الملأى بالأجهزة الإلكترونية من أرضها إلى السقف .. والإضاءة الحمراء التى تغمر المكان ..

كان هذا المكان هو الجهاز العصبى المركزى لهيئة ERTS ، وكل المراسلات من كل أرجاء المعمورة تلتقى هاهنا ..

حيث يتم تسجيل كل شيء بالصوت والصورة ..

قال لها أحد الفنيين :

- « سيصلنا الإرسال خلال دقيقة .. هل لك فى قهوة ؟ »

- « لا .. » .

وظهرت كهربية إستاتيكية على الشاشات ، وفى الساعة ٢٢ : ٦ بتوقيت الكونغو ظهر الإرسال على الشاشة ..

الآن يرون معسكر الأمريكيين من وجهة نظر كاميرا (فيديو) على حامل ثلاثى .. رأوا خيمتين ونارًا ، لكن لا علامة على أىّ نشاط ..

ضحك الفنى وقال :

- « لقد ضبطناهم متلبسين بالنوم ! أظن أنهم يحتاجون إليك هناك .. » .

وكانت (روس) معروفة بحزمها وحرصها على النظام ..

قالت للفنى :

- « قم بعمل مسح استعراضى للمشهد (بان) .. »

استعمل الفنى عصا (جوى ستيك) كالتى يستعملونها

فى ألعاب الفيديو .. فتحركت الكاميرا على بعد آلاف الأميال فى الكونغو .. واتجهت الصورة إلى اليسار ليروا المزيد من المعسكر ..

كان مدمرًا تمامًا .. الخيام مهشمة وممزقة .. والمعدات مبعثرة فى الوحل .. وثمة خيمة تحترق .. وأجساد ميتة كثيرة ..

صاح الفنى :

- « رباه ! »

- « أعد مسح المشهد ! »

لكن لم تكن هناك أية علامات للحياة على الشاشة .. فقط وجه لأحد الجيولوجيين .. (روجر) بالتحديد ..

قالت (روس) بصوت بارد :

- « اقترب أكثر بلقطة (زووم) .. »

دنت الصورة من الوجه ، فكان ما رأياه هو رأس محطم ، وفم مفتوح ، ودم يخرج من العينين والأنف ..

- « ما الذى فعل ذلك ؟ »

هنا ظهر ظلّ يعبر الشاشة .. فوثبت (روس) تمسك بالـ (جوى ستيك) ليتراجع الكادر إلى الوراء ، واتسعت الصورة ليريا حدود الشىء ..



وراوا وجهًا ضخمًا يملأ الشاشة ...

كان رجلاً .. وكان يتحرك .. وهتف أحد الفنيين :

- « هذا شخص حيّ ! لكنه يعرج .. لابد أنه جريح ! »

نظرت (روس) إلى الظل فلم يبد لها كرجل يعرج .. ثمة شيء خطأ .. لكنها لا تستطيع معرفة ما هو ..

هنا سمعوا صوتًا غريبًا كالهسيس .. عندها صار الوجه واضحًا جدًا وفي مجال البؤرة ، ورأوا جسمًا مهزوزًا أسود ثم اختفى ..

- « هل هو من الوطنيين ؟ »

- « هذه المنطقة غير مأهولة .. »

واصلت الكاميرا استعراض المنظر .. وفجأة تأرجحت الصورة ومالت إلى جانب .. لقد قلب الشيء الكاميرا لتسقط أرضًا ..

ظهرت الشقوق على الصورة ، ثم ملأتها الكهرباء الإستاتيكية .. وصار من العسير أن ترى أي شيء ..

وراوا وجهًا ضخمًا يملأ الشاشة .. ثم تحولت الصورة إلى نقطة مضيئة قبل أن تتلاشى تمامًا ..

★ ★ ★

٢ـ تداخلات فى الاتصال

فى صيف ١٩٧٩ كانت الـ ERTS لها فرق فى كل مكان ؛ تدرس رواسب اليورانيوم فى بوليفيا ، والنحاس فى باكستان ، والتربة الزراعية فى كشمير ، وموارد الأخشاب فى ماليزيا ..

ولأن معظم هذه الحملات كانت فى مناطق خطرة ، فقد كان واجب الهيئة ملاحظة العلامات الأولى لما يسمى بـ (توقيع التداخل)(*) .. وفى لغة الاستشعار عن بعد يُطلق هذا المصطلح على ظهور جسم أو ظاهرة جيولوجية فى صورة فوتوغرافية للمرة الأولى ..

وبالنسبة لـ (ر . ب . ترافيس) الذى أيقظوه من فراشه فى الساعات الأولى من صباح ١٣ يونيو ؛ كانت صور الفيديو القادمة من الكونغو هى أسوأ (توقيع تداخل) ممكن .. لكن أحدًا لم يفهم مصدره ..

كل ما كانوا يعرفونه هو أن المعسكر قد تم تدميره

(*) Interference Signature

خلال ست دقائق . ولم يطلب (ترافيس) أية معلومات سوى معرفة (ماذا حدث بحق الجحيم هناك ؟) ..

كان فى الثامنة والأربعين من العمر ، وهو مهندس أقمار صناعية سابق مشهور بروحه المرحة .. وكانت فلسفته فى الإدارة تتلخص فى عبارة يضعها على مكتبه تقول (ل . م . أ . ى . خ . ل . د) وهى اختصار لـ (لابد من أن يحدث خطأ لعين دائمًا !) ..

لكنه لم يحتفظ بمرحه فى تلك الليلة بعدما فقد ثمانية من رجاله ، ومن كانوا معهم من حمالين .. إنها أسوأ كارثة فى تاريخ ERTS ..

عليه الآن أن يتحمل إجراء واستقبال مئات المكالمات الهاتفية .. سيكون هناك أبناء كثيرون وزوجات كثيرات يسألون فى أمل عن ذويهم .. وسيتلقى إجابات حذرة مضللة ..

شعر بالإرهاق حين فكر فى كل الكذب القادم .. فهو لن يخبر أحدًا بما حدث قبل أسبوعين ..

وجاءه (موريس) مسئول التأمين فى الشركة ليسأله :

ـ « ماذا نفعل بصدد التأمين ؟ »

فقد كانت الهيئة تؤمن على حياة أفرادها فى الحملات .. وتؤمن على كل واحد من الحمالين بمبلغ خمسة عشر ألفًا من الجنيهات الإسترلينية ..

- « استمر فى دفع الأقساط لمدة شهر .. »

- « لكننا نعرف أنهم ماتوا ! »

قالها (موريس) محتجًا شاعرًا بالحسرة لضياع كل هذا المال .. فقال (ترافيس) :

- « لابد من إبقاء الأمر سرًا .. »

ثم أصدر تعليماته باستدعاء فريق من الفنيين لدراسة شرائط الفيديو التى تم تصويرها .. فهى الدليل الوحيد على ما حدث فى الكونغو ..

★ ★ ★

٣ـ الاسترجاع

كانت ERTS تسمى عملية استرجاع المعلومات باسم (الانتشال) .. وهو لفظ يوحى باستخراج الكنوز من أعماق البحار .. فكلا العمليتين بطيء يحتاج إلى دقة بالغة .. وأى خطأ يؤدى إلى ضياع كل شىء ..

كانت (روس) ضمن الفريق المسئول عن استرجاع المعلومات البصرية ، وهى عملية معقدة جدًا ولا يمكن أن تتم إلا لدى الـ ERTS ..

وكان لدى الشركة حوالى ٨٣٧ برنامجًا لتحسين الصور المرسلة عبر القمر الصناعى ، جربت (روس) أربعة عشر برنامجًا منها على صور الكونغو .. خاصة على اللقطة التى ظهر فيها وجه الكائن قبل أن تتهشم الكاميرا ..

بدأت بالتخلص من الكهربية الإستاتيكية وطلبت من الكمبيوتر أن يحذفها .. هنا ظهرت فجوات سوداء فى الصورة ، قام الكمبيوتر بملئها حسب ما يوجد حولها .. أى أن الجهاز قام بعملية تخمين منطقى لمحتوى هذه الفجوات ..

ثم إن (روس) قامت بتقوية درجات اللون الرمادى..
وبعد ساعة ظهرت الصورة واضحة متألقة وحبست (روس) أنفاسها ..
إنه وجه ضخم له حاجبان ثقيلان وأنف أفطس ..
إنه وجه ذكر غوريللا ..

★ ★ ★

دخل (ترافيس) ليقول لها :
- « لقد فرغنا من تحليل الشريط السمعي - إن صوت الهسيس هو صوت تنفس آدمي غريب حقًا .. صوت يأتي من الشهيق لا الزفير .. »
قالت وهي تشير للشاشة :
- « الكمبيوتر مخطئ .. هذا صوت غوريللا .. »
- « هذه الصورة خطأ .. »
- « لا .. ليست خطأ ... »
- « حسن .. إن الفريق سيجتمع فى مكتبى حالاً .. »
ثم نظر إلى صورة الغوريللا على الشاشة .. وقال :
- « لا أصدق هذه الصورة .. فالغوريللات لاتتصرف هكذا .. مشكلتنا الآن هى مدى السرعة التى نرسل بها فريقاً آخر إلى الكونغو .. » .

★ ★ ★

٤ـ حملة العودة

واجتمع (ترافيس) برؤساء الأقسام فى الشركة..
كلهم جاءوا وهم يفركون عيونهم ويتثاءبون .. فقال لهم :
- « ابغى أن نعود إلى الكونغو خلال ٩٦ ساعة .. ! »
ثم استرخى فى مقعده ليسمح لهم بأن يفسروا له سبب استحالة هذا .. وكانت لديهم أسباب عديدة :
- « لانستطيع إعداد الحمولة قبل ١٦٠ ساعة .. »
قال (ترافيس) :
- « سنؤجل حملة (الهيملايا) ونأخذ معداتها .. »
قال مسئول النقل :
- « لكننا لن نجد طائرة .. »
- « توجد نقالة خاصة بالخطوط الجوية الكورية .. وستكون جاهزة خلال تسع ساعات .. »
قال مسئول الدبلوماسية :
- « لن نستطيع الحصول على (فيزا) من سفارة (زائير) بهذه السرعة .. »

ثم أردف :

ـ « وأشك فى أنهم سيوافقون .. إنهم متحمسون للحملة المنافسة التى نظمها الألمان واليابانيون .. فهناك ثلاثمائة موظف يابانى فى (كينشاسا) الآن ينفقون (الين) كأنه الماء .. »

ـ « هذا صحيح .. لكنهم لا يعرفون أن حملتنا فى خطر .. »

ثم أضاف :

ـ « سنلجأ إلى صناديق الخمر للتفاهم مع القبائل .. ونحتاج إلى رجل بارع .. ربما يصلح (مونرو) .. »

ـ « (مونرو) ؟ هذا صعب .. إن حكومة (زائير) تمقت (مونرو) .. »

ـ « إنه واسع الحيلة ويعرف المنطقة .. »

ولم تأت الحادية عشرة مساء حتى تم ترتيب الحملة بكل تفاصيلها ، ووافق عليها الكمبيوتر .. من المفترض أن تصل الطائرة إلى إفريقيا يوم ١٥ يونيو ، ليتم البحث عن (مونرو) .. ثم تتحرك لتصل إلى الكونغو يوم ١٧ يونيو »

★ ★ ★

قالت (روس) لـ (ترافيس) :

ـ « يجب أن أقود هذه الحملة .. ! »

رفع نحوها عينين مندهشتين .. وقال :

ـ « لا أرى سببًا يضطرنى لهذا .. »

ـ « أنا أسرع من يتعاملون مع قواعد البيانات هنا .. وأنت بحاجة إلى من يتعامل مع قواعد البيانات ببراعة وإلا انتهت هذه الحملة كما انتهت سابقتها .. »

نظر إليها .. وأدركت من تردده أنه بدأ يلين ..

وحين تركت المكان جلس يفكر فى الموقف .. إن (روس) باردة جدًا وسوف تكون قائدة سيئة للحملة .. وستشعر الآخرين بالتعاسة ..

لكنه كان يؤمن بأن خير من يقوم بالعمل ـ أى عمل ـ هو الشخص الذى سيجنى كثيرًا بالنجاح .. أو سيخسر كثيرًا بالفشل ..

داعب أزرار الكمبيوتر طالبًا ملف الصورة النفسية لـ (كارين روس) .. وبعد ثوان ظهرت على الشاشة حصيلة ثلاثة أيام من الاختبارات النفسية ، كانت تجرى على كل موظفى الهيئة :

ـ *ذكية جدا / منطقية / واسعة الحيلة / لها أهداف محددة ..*

إنها خير صفات لقائد فريق الكونغو .. أما السلبيات فكانت أقل دعوة إلى الاطمئنان :

ـ *قاسية / متسلطة / عديمة التعاطف / ترغب فى النجاح بأى ثمن / طموحها يؤدى لاستجابات خطرة غير منطقية ..*

★ ★ ★

وفى ذلك الوقت بدأت (كارين روس) تمارس مهام منصبها الجديد ..

على شاشة الكمبيوتر طلبت قائمة بأسماء خبراء الحيوانات الذين تمولهم ERTS .. وتحت عنوان (حيوانات أولية) وجدت أربعة عشر اسمًا ، منهم واحد فقط فى الولايات المتحدة ، يدرس الغوريللا ، ويدعى (بيتر إليوت) من جامعة (كاليفورنيا) ..

على الشاشة ظهر أن (إليوت) فى التاسعة عشرة من عمره ، أعزب ، أستاذ زائر لقسم الحيوان ، مهتم بلغة الغوريللا ومسئول عما يدعى (مشروع آمى) ..

اتصلت برقم هاتفه .. كان مترددًا فى البدء خشية

أن تكون صحفية .. لكنها أخبرته أنها من ERTS التى تدعم بحوثه .. وسألته عما إذا كان راغبًا فى السفر معهم إلى (فيرونجا) ..

ولدهشتها صاح فى حماس :

ـ « بالتأكيد ! أريد الذهاب مع (آمى) »

ـ « من هى (آمى) ؟ »

ـ « (آمى) .. الغوريللا ! » .

★ ★ ★

اليوم ٢ : سان فرانسسكو
١٤ يونيو ١٩٧٩

١ ـ مشروع (آمي)

لعلنا نكون ظالمين لو اعتقدنا أن (بيتر إليوت) كان يريد الهرب في هذا الوقت .. لكن المؤكد هو أنه كان يتعرض لحملات عنيفة من الصحافة ومن زملائه في الجامعة ، واتهامات بأنه مجرم نازيّ يعذب الحيوانات الخرساء .. والسبب هو مشروع (آمي) ..

كانت فكرة تعليم اللغة للحيوانات قديمة جدًا تعود إلى عام ١٦٦١ ، حين رأى (صمويل بيبز) حيوان الشمبانزي في حديقة حيوان (لندن) .. فقال : « إنه يبدو كالإنسان .. وأعتقد أنه يفهم كثيرًا من الإنجليزية .. » ..

ومرت ثلاثمائة سنة بعدها ؛ حاول الإنسان فيها أن يعلم القرود الكلام دون جدوى ..

جاء زوجان هما (كيث) و(كاثي هايز) ليحاولا في الخمسينات من هذا القرن تربية شمبانزي صغير .. وعلماه نطق بعض الكلمات مثل (بابا) و(ماما) .. لكن تقدمه كان بطيئًا جدًا ونطقه عسير الفهم ..

وفي عام ١٩٦٦ حاول الزوجان (جاردنر) إعادة

تقييم تجربة آل (هاتز) .. وشاهدا بعض الأفلام القديمة فأدركا أن الشمبانزى لم يكن عاجزًا عن استعمال اللغة ، بل هو عاجز عن الكلام فحسب .. فقد كانت إيماءات الشمبانزى طلقة ومنسابة ، بينما كان لسانه ثقيلاً عاجزًا ..

وبدأ الزوجان تعليم لغة الإشارة الأمريكية الخاصة بالصمّ لشمبانزى رضيع .. وسرعان ما اكتسب هذا مائة وستين إشارة .. بل صار يجمع الإشارات ليدل على كلمات لم يتعلمها قط .. فحين رأى بطيخة لأول مرة ؛ أشار إلى أنها (فاكهة ـ الماء) ..

واستمرت التجارب على الأوليات .. إلى أن أجرى (إليوت) أول تجربة على غوريللا جبلية صغيرة هى (آمى) ..

كانت فى المستشفى رضيعة مصابة بزحار أميبى .. وقد حيّاها (إليوت) فى حنان قائلاً :

ـ « مرحبًا يا (آمى) .. أنا (بيتر) .. »

عندها عضت يده حتى سال منها الدم ..

لكن هذه المقابلة كانت فاتحة خير لبرنامج بحثى موفق ..

وكان عمل (بيتر) مع (آمى) دقيقًا جدًا .. متواضعًا بعيدًا عن الشهرة ، وسرعان ما فاز الفتى باحترام المحافل العلمية ، ونال منحة دراسية قدرها مائة وستون ألفًا فى العام لمشروع (آمى) ..

لم يكن (إليوت) يهتم بشىء فى الكون سوى (آمى) .. وجعله هذا محدثًا مملاً لكنه عالم مرموق ..

بدأت مشاكل (إليوت) فى فبراير ١٩٧٩ .. كانت (آمى) تقضى الليل وحدها فى معسكر فى (بيركلى) .. إلا أنه فى الصباح وجدها متعكرة المزاج تمامًا كأن هناك من أساء إليها ..

وحين سألها عما حدث ؛ راحت تشير بما معناه (صندوق ـ النوم) .. وهى كلمة لم يفهمها .. منذ أيام قليلة حيرته حين تحدثت عن (لبن ـ التمساح) .. وبعد جهد فهموا أن اللبن الذى تشربه قد فسد .. وبما أنها كانت تمقت التماسيح التى تراها فى الصور فإنها اعتبرت اللبن الفاسد (لبن ـ تمساح) ..

بعد معاناة كبيرة فهموا أن (صندوق ـ النوم) معناه الأحلام .. لأنها تذكرها بـ (صندوق ـ الصور) وهو التلفزيون ..

سألها (إليوت) عما رأته فى (صندوق ـ النوم) من صور .. فأشارت بيدها إلى أنها (صور سيئة ـ صور قديمة) و (تجعل آمى تبكى) ..

إن حقيقة أن (آمى) هى أول غوريللا تتحدث عن الأحلام ، أحدثت دهشة عارمة لدى (إليوت) ..

وفى الأيام التالية ظلت تحلم لكنها لم تحك أحلامها .. وإن تدهور مزاجها أكثر وقلّ معدل اكتسابها للكلمات .. وصارت تثور يوميًا .. إن (آمى) حيوان قوى ، وقد بدأ فريق العمل يقلق بصدد قدرتهم على السيطرة عليها ..

راحوا يعرضون عليها صورًا من المجلات علها تتعرف إحداها .. وراقبوها وهى وحيدة علها تكشف عن شىء .. فـ (آمى) كانت ـ ككل الأطفال ـ تكلم نفسها .. وفى النهاية وجدوا ما يثير الاهتمام ..

كانت (آمى) تهوى الرسم بأقلام الشمع .. وقد مزجوا لها الفلفل بالشمع كى يمنعوها من التهام الألوان .. ومع الرسم تعلمت الاسترخاء ..

وقد لاحظ أحد الإخصائيين النفسيين أنها ترسم دومًا أهلة مقلوبة ، بجوار خطوط خضراء .. ووجدوا أنها تسمى الأهلة باسم (بيوت سيئة) (بيوت قديمة) ..

من الواضح أنها ترسم مبانى قديمة من الغابة .. رؤى تعذبها ، لذا تحاول الخلاص منها على الورق ..

فى النهاية قال الاخصائى إن كوابيسها يمكن تفسيرها بأربعة احتمالات :

١ ـ الأحلام محاولة لتفسير الأحداث اليومية .

٢ ـ الأحلام هى من أعراض المراهقة : إن (آمى) تعتبر غوريللا مراهقة فى سن سبع سنوات .

٣ ـ الأحلام هى ظاهرة خاصة بالغوريللا : ربما كانت كل الغوريللات تحلم بكوابيس لكنها لا تعبر عنها .

٤ ـ الأحلام هى أول علامة على العته : وهذا أخطر الاحتمالات ..

وهو السبب فى فشل برامج كثيرة بعد سنوات من الجهد ، بسبب انهيار الحيوان نفسيًا أو جسديًا .. كثيرًا ما ينتحر الشمبانزى بابتلاع فضلاته فى ذروة نجاح برامج التعليم .. وكذا إنسان الغابة (أورانج أوتان) ..

يبدو أن القرود ورثت ذكاء الإنسان ، لكنها ـ كذلك ـ ورثت اضطرابه النفسى .. وقابليته للجنون ..

★ ★ ★

٢ـ الاختراق

فى ٣ يونيو من نفس العام ، بدأت (هيئة المحافظة على الرئيسيات) ـ وهى هيئة مهمتها منع تعذيب القرود بالبحوث المعملية ـ ترسل إلى قسم الحيوان فى (بيركلى) تطالب بإطلاق سراح (آمى) ..

وانتشرت ملصقات طبع عليها (حرروا آمى) .. ولكن المشروع (آمى) تجاهل هذه الضجة السخيفة ..

وفى ٥ يونيو بدأت الهيئة تنشر آراء بعض علماء الرئيسيات ، الذين قال بعضهم : « إن عمل (إليوت) خيالى وغير أخلاقى .. » ، وقال آخر : « مشروع فاشل فى طبيعته .. » .. وأحدث هذا أذى لايمكن وصفه ..

وانتشرت إشاعات تقول إن أبحاث (آمى) أصابتها بالكوابيس .. وزعموا أن (آمى) تتعرض للتعذيب والصدمات الكهربية ..

إلا أن فريق (آمى) نجح ـ فى أثناء هذه الضوضاء ـ فى اختراق أحلامها إلى حدّ غير مسبوق ..

كانت (سارة جونسون) تعرض بعض الصور

الأثرية من (الكونغو) على (آمى) علها تتعرفها من طفولتها .. وكان تاريخ الكونغو معقدًا جدًا لكن أول من وصفه هم التجار العرب والبرتغاليون .. و(سارة) لم تكن تفهم العربية ولا البرتغالية لكنها رأت صورة قالت عنها فيما بعد : « لقد جعلتنى أرتجف رعبًا .. »

كان رسمًا برتغاليًا اصفرّ حبره ، يظهر مدينة خربة تحيط بها أشجار الغابة .. ولمبانيها أبواب ونوافذ على شكل أهلّة مقلوبة كالتى رسمتها (آمى) !

إنها لحظة نادرة فعلاً ..

لجئوا إلى مترجم عربية ومترجم برتغالية ليشرحا لهم كل شىء .. إلا أن (إليوت) أحسّ أن (آمى) تحمل هذه الذكرى من طفولتها حين كان عمرها سبعة أشهر ..

وفى ١١ يونيو قرر الفريق أن يأخذ (آمى) إلى الكونغو .. لكن هنك مشكلة التكاليف الباهظة للرحلة .. ومشاكل نقل غوريللا عبر الكرة الأرضية ، بما فيها من تعقيدات إدارية وإجراءات بيروقراطية رهيبة .

وفى ١٣ يونيو اتصلت (كارين روس) بـ (إليوت) تطلب منه السفر إلى الكونغو !

★ ★ ★

٣ـ مسائل قانونية

كان على (إليوت) إنهاء مشاكله القانونية ليخرج (آمى) من البلاد ..

ففى المائة سنة الأخيرة كانت هناك حملة منظمة ضد إجراء التجارب على الحيوانات .. يحركها جنون محبى الحيوانات ..

لكن حجة العلماء الجاهزة أمام المحاكم هى أن أبحاثهم تحسن صحة ورفاهية الإنسان .. والإنسان أكثر أهمية من الحيوان ..

بالإضافة لذلك فالحيوانات لا تدرك ذاتها .. ولا تفهم حقيقة وجودها فى الطبيعة .. وبعبارة أدق يقول الفيلسوف (جورج ميد) :

ـ « إن الحيوانات ليست لها حقوق .. إن لنا الحرية فى إنهاء حياتها .. فهى لن تخسر أى شىء بفقدها .. »

وقد صدم هذا الرأى أناسًا كثيرين .. وراحوا يتساءلون عن مشاعر القطط والكلاب عند إجراء

التجارب عليها .. لكن فريقًا آخر تساءل : أليس قاسيًا أيضًا أن تلقى بسرطان البحر حيًا فى ماء مغلى ؟!

لكن الدراسات بالنسبة للقرود والدرافيل أوضحت أنها حيوانات ذكية .. بل وتدرك ذواتها .. وهكذا ظهرت حقوق مدنية لهذه الحيوانات .. فالمشكلة أن (الشمبانزى) الذى يتعلم مفهوم اللغة لا يعود (شمبانزى) ثانية .. وثمة قصة عن (شمبانزى) يدعى (آرثر) كان يشير إلى أفراد جنسه باعتبارهم (أشياء سوداء) ، وكان يصنف صورته الخاصة مع صور البشر .. لهذا صار من العسير معاملته كحيوان ..

قال المحامى لـ (إليوت) إذ استشاره ، إنه إذا أراد إخراج (آمى) من البلاد فعليه أن يفعل ذلك دون إبطاء ، ودون أن يشعر أحد بشىء ، قبل أن تصدر المحكمة حكمًا باحتجازها ..

★ ★ ★

عرف (إليوت) من سكرتيرته أن رجل أعمال يابانيًا يدعى (هاكاميشى) قد اتصل به ثلاث مرات ، وقد عرض شراء (آمى) بمائتين وخمسين ألف دولار ..

أصيب (إليوت) بالدهشة .. هو لن يبيع (آمى) أبدًا .. لكن المبلغ كبير حقًا .. فلماذا يرغب أحد فى إنفاق ربع مليون دولار لشراء غوريللا ؟

لا شك أن الرجل يريد (آمى) من أجل رسومها .. لكن لماذا تساوى هذه الرسوم ربع مليون دولار ؟ لا أحد يعرف ..

وجاءت (سارة جونسون) لتقول إن لديها أنباء سيئة عن الكونغو ..

قالت إنه ـ لفترة طويلة ـ لم يكن أحد يعرف شيئًا عن هذا البلد . فقط كان الفراعنة يعرفون أن النيل ينبع من الجنوب ، من منطقة أسموها (أرض الأشجار) .. وكانت مكانًا غامضًا تملؤه الأشجار وكائنات غريبة .. رجال لهم ذيول وحيوانات نصفها أبيض ونصفها أسود ..

ولمدة أربعة آلاف سنة ظل قلب إفريقيا غامضًا ، حتى جاء العرب إلى شرق إفريقيا فى القرن السابع الميلادى بحثًا عن الذهب والعاج والتوابل .. لكنهم لم يرتادوا البرّ لأنهم كانوا بحارة بطبعهم .. وأطلقوا على الأرض الداخلية اسم (زنج) أو (أرض السود) ..

لكنهم حكوا عن غابات مظلمة ، وجبال تخرج منها النار ، وقرى تحكمها القردة ، وعمالقة لهم أجساد مشعرة .. وأسواق يتم فيها بيع لحم الجثث ..

أبقت هذه القصص العرب بعيدًا عن قلب إفريقيا ..

أما أكثر القصص إثارة فهى ما يتحدث عن مدينة الزنج المفقودة .. تقول الأسطورة إن تاريخ المدينة يعود إلى النبى (سليمان) ـ عليه السلام ـ والعبرانيون يعرفونها جيدًا ، وهى ملأى بالماس لكن الوصول إليها سرّ تتوارثه أجيال بعينها(*) ..

وفى عام ١١٨٧ جاء رجل عربى يدعى (ابن بطوطة) ليحكى عن مدينة مفقودة اسمها (مدينة الزنج) يتكلم عنها الأهالى ..

وفى عام ١٢٩٢ جاء رجل إيرانى يدعى (محمد زايد) ، قال إنه رأى فى (زنزبار) ماسة عملاقة جاءت من مدينة الزنج ، وإن مبانى المدينة لها نوافذ وأبواب تشبه الأهلة ..

(*) كانت هذه المدينة هى أساس قصة (رايدار هجارد) الشهيرة (كنوز الملك سليمان) ، التى نشرت عام ١٨٨٥ .. ويبدو أن المؤلف سمع قصة المدينة من قبائل (الزولو) .

ثم جاء البرتغاليون ليواصلوا الكشوف وسط مناخ معاد ، مليء بالملاريا ومرض النوم .. لكنهم لم يصلوا إلى هذه المدينة ..

ورسم رسام برتغالى يدعى (خوان دييجو دى فالبديز) صورة للمدينة حسب ما سمعه عنها من كلام البحارة والوطنيين ..

وفى منتصف القرن التاسع عشر .. تم استكشاف إفريقيا بدقة بوساطة (بيرتون) و(بيكر) و(سبيك) و(ليفنجستون) .. فلم يجد أحدهم أثرًا لهذه المدينة المفقودة ..

هنا ساد الاكتئاب جو الجلسة ..

قال (إليوت) لـ (سارة) بعد ما فرغت من كلامها :

ـ « إذن هذه الصورة البرتغالية وهمية .. »

ـ « نعم .. إنها مجرد قصص يتبادلها بحارة ثملون .. » .

* * *

٤ـ الحلّ

بدأ (إليوت) يشعر بأن خطته لأخذ (آمى) إلى الكونغو ، طفولية ساذجة إلى حدٍّ كبير .. إن تشابه خطوط رسومها مع رسوم من عام ١٦٤٢ خطها رسام برتغالى لهو مجرد مصادفة ..

من المؤكد أن مدينة الزنج خرافة عتيقة .. كانت معقولة فى القرن السابع عشر .. لكنها فى القرن العشرين ـ قرن الكمبيوتر ـ تبدو وهمًا أسطوريًا ..

قال فى أسى :

ـ « إذن .. فالمدينة لا وجود لها .. »

ـ « بلى هى موجودة .. لا شك فى هذا ! »

نظر ليرى صاحبة العبارة .. فرأى فتاة فى العشرين من عمرها ، كان يمكن اعتبارها جميلة لولا الطابع البارد المسيطر عليها .. وكانت ترتدى بذلة كاملة وتحمل حقيبة أوراق وضعتها على المكتب .. وقالت :

ـ « أنا د (روس) .. وأريد رأيكم بخصوص هذه الصور .. »

تأمل (إليوت) مجموعة من الصور بالأبيض والأسود ، عليها خطوط مسح عرضية . وفيها تظهر بوضوح مدينة وسط الأدغال .. لها أبواب ونوافذ تشبه الأهلة !

لقد كان الدليل لا يُدحض ..

★ ★ ★

٥ ـ آمى

سألها وهو يشعر بالتوتر فى صوته :

ـ « أهى بالقمر الصناعى ؟ »

ـ « نعم .. جاءتنا من إفريقيا منذ يومين .. »

ـ « وحملتك سترحل خلال ساعات ؟ »

قالت وهى ترمق ساعتها الرقمية :

ـ « نعم .. بعد ست ساعات وثلاث وعشرين دقيقة .. »

وفى الساعات التالية جلسا يتكلمان .. ولم يدر أنها تستغله فى نفس الوقت الذى حسب فيه أنه يستغلها .. لم تكن صادقة معه ، فقد تعمدت إغفال بعض المعلومات من كلامها .. وهو فنّ تجيده تمامًا .. وتعرف كيف لا تقول إلا ما تريد قوله فحسب ..

بدا لها (إليوت) خجولاً جدًا ، وكما قيل عنه إنه كرس حياته للقرود لأنه لا يملك الشجاعة كى يتحدث إلى الناس .. لكن هذا كان يخفى طبيعة (إليوت) العنيدة الطموح ..

أما هى فقد كان غرضها نفعيًا واضحًا .. فهى
بحاجة إلى خبير غوريللات .. وبحاجة إلى غطاء يخفى
أغراض الحملة .. وبحاجة إلى ألا يستطيع المنافسون
(الألمان ـ اليابانيون) أخذ (آمى) معهم فى رحلتهم ..

كانت (روس) تريد الماس .. ومن أجله هى
مستعدة لتقول أى شىء وتفعل أى شىء وتضحى بأى
شىء لهذا الغرض .. لكنها لم تصارح الفتى بذلك ..

وفى ١٤ يونيو ركبت إلى جواره فى سيارته
(الفيات) ، متجهين للقاء (آمى) فى معسكرها ..

فتح (إليوت) الباب الذى كتب عليه (ممنوع
الدخول .. أبحاث حيوانات تجرى بالداخل) .. ودلفا
ليلقيا (آمى) ..

قال لـ (روس) :

ـ « يجب أن تتذكرى أنها غوريللا وليست إنسانًا ..
لها (الإتيكيت) الخاص بها .. لاتتحدثى بصوت عالٍ إلى
أن تعتاد وجودك .. وإذا ابتسمت لا تظهرى أسنانك
لأن الأسنان المكشوفة تعتبر تهديدًا للغوريللا .. ابقى
عينيك لأسفل لأن نظرات الغرباء المباشرة تعتبر
معادية بالنسبة لها .. لا تقفى بقربى أو تلمسينى لأنها

غيور جدًا .. لا تكذبى أبدًا لأنها تشعر بذلك وسيجعلها
هذا تفقد ثقتها بك .. »

ـ « أى شىء آخر ؟ »

ـ « لا .. »

وابتسم لها مطمئنًا ..

فتح الباب .. فرأت (روس) جسدًا أسود ضخمًا
يبرز ليثب بين ذراعى (إليوت) فتراجع هذا للوراء
بفعل الصدمة .. وأذهل حجم الغوريللا (روس) ..
فقد كانت تتخيل شيئًا أصغر وألطف .. لكن (آمى)
كانت بحجم أنثى بشرية بالغة ..

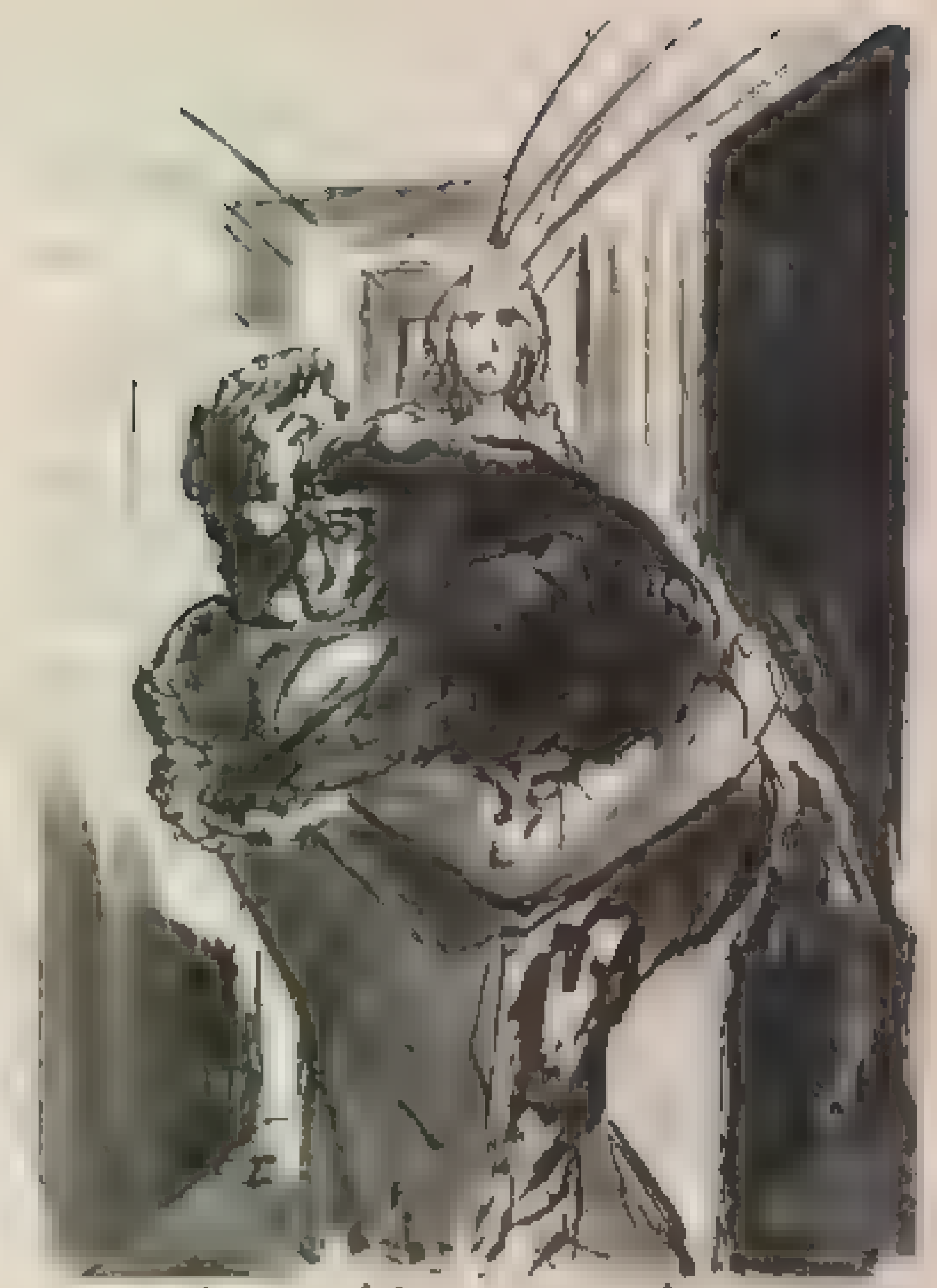
لثمته (آمى) على خده بشفتيها العملاقتين ..
فسألها وهو يفك ذراعيها :

ـ « هل (آمى) سعيدة اليوم ؟ »

فحركت أناملها بسرعة مذهلة تحدثه بالإشارة ..
ولاحظت (روس) أن (آمى) تحتضنه بعينيها حتى
لا يفوتها شىء منه ..

ـ « هذه هى د . (روس) يا (آمى) .. »

قالت (كارين روس) وهى تنظر للأرض شاعرة
بالحماقة :



فتح الباب .. فرأت (روس) جسدًا أسود ضخمًا يبرز ليثب بين ذراعى (إليوت) ..

- مرحبًا يا (آمى) .. »

نظرت لها الغوريلا بشك .. ثم تراجعت وهى لاتكف عن الإشارة .. ومن جديد دنت منها لتتشممها وتتفحصها وتتأمل حقيبتها الجلدية باهتمام .. وفيما بعد قالت (روس) : « كنت أشعر بأننى فى حفل كوكتيل .. وأن امرأة أخرى تتفحص ثيابى .. حتى شعرت أنها ستسألنى فى أية لحظة عن المكان الذى ابتعت حذائى منه .. »

كان (إليوت) يرمق المقابلة فى قلق .. فعملية تقديم بشر إلى (آمى) عملية خطرة خاصة إذا كانوا من النساء .. إن (آمى) أنثى حقيقية تستجيب للتملق وتهتم بمظهرها وتعشق (المكياج) .. وكانت تفضل صحبة الرجال وتغار بشدة على (إليوت) .. لهذا كانت أحيانًا تهاجم النساء دون إنذار .. ولم تكن هجمة (آمى) ذكرى ممتعة أبدًا ..

راحت (آمى) تشير بيدها :

- (آمى لا تحب النساء ... آمى لا تحب ... ابتعدى ابتعدى) ..

- « هلم يا (آمى) ! (آمى) غوريلا طيبة .. »

لكن الأمر يكون أسوأ مع قرود الشمبانزى التى تهاجم بشراسة ، وتقذف الغرباء ببرازها .. ربما على سبيل تأكيد السيطرة .. ومن الغريب أن الغوريللا أكثر تسامحًا فى طقوس التعارف هذه ..

جلست (آمى) على الأرض وراحت تمزق أوراق الرسم ، مرددة (تلك المرأة ، تلك المرأة) .. وهو (تفاعل إزاحة) شهير لدى القرود .. فحين تكره القرود إنسانًا فإنها تمارس طقوسًا رمزية معه .. وبعبارة أوضح كانت (آمى) تمزق (كارين روس) الآن إلى أشلاء !

ثم بدأت تمر بما يسميه علماء الرئيسيات بـ (التتابع) .. وهو سلسلة من التصرفات تقوم بها الغوريللا قبل الهجوم : تمزيق الورق أو العشب ـ الحركات الجانبية التى تشبه حركة سرطان البحار ـ أصوات الأنين ـ ضرب الأرض بقبضتها ـ الهجوم ..

قال (إليوت) لـ (آمى) ليوقف تفاعل التتابع :

ـ « إن (روس) هى امرأة ـ زرّ .. »

بالنسبة لـ (آمى) فإن لفظة (زرّ) تعنى مقامًا عاليًا .. ففى صغرها كانت قد هاجمت رجل شرطة

وعضته .. لأن ثيابه بأزرارها اللامعة بدت سخيفة جدًا بالنسبة لـ (آمى) ، وقد افترضت أن من يرتدى هذه الثياب المضحكة هو فى وضع منحطّ يسمح لها بمهاجمته .. عندها كان على (إليوت) أن يعلمها مفهوم الزرّ .. كل من يرتدى الزرّ هو رجل عالى المكانة ..

لذا ـ دون كلمة أخرى ـ مشت لركن الغرفة ووقفت ووجهها للحائط .. إنها تعاقب نفسها لأنها أخطأت ..

دون كلمة اتجهت (روس) إلى (آمى) فجلست جوارها ، فتحت حقيبتها الجلدية وناولتها لـ (آمى) .. راحت الغوريللا تعبث فى محتويات الحقيبة ثم راحت تردد بأصابعها (أحمر شفاه أحمر شفاه آمى تحب أحمر شفاه) .. وأخرجت إصبعًا لأحمر الشفاه ورسمت به دائرة على وجه (كارين) .. ثم هرعت إلى المرآة وراحت تلطخ وجهها بالأحمر ..

وأدرك (إليوت) أن اللقاء مرّ على خير ..

★ ★ ★

٦ ـ الرحيل

وقفت البوينج ٧٤٧ تهدر ، وقد انفتح بطنها كفكين فاغرين ..

كانت قد أقلعت من (هوستون) إلى (سان فرانسسكو) ، والآن الساعة التاسعة مساء ، بينما العمال المندهشون يحملون صناديق الفيتامينات وقفصًا من الفولاذ و (قصرية) أطفال وعلبًا ملأى باللعب ..

وقف (إليوت) مع (آمى) التى سدت أذنيها بسبب صوت المحركات العالى ، وأشارت إلى (بيتر) بما معناه (طيور صاخبة) .. كانت تحب رحلات السيارة مع (بيتر) لكنها لم تخبر الطيران بعد .. وكان هو قلقًا بصدد رد فعلها ..

كانت (روس) تروح هنا وهناك تجرى مكالمات عاجلة .. فسألها (إليوت) :

ـ « علام الاستعجال ؟ »

ـ « إنها مقتضيات (البيزنس) .. منذ أربعة أعوام لم تكن هناك شركة مثل شركة ERTS .. الآن توجد تسع

منها .. وكلها تنافسنا .. ولهذا صار عملنا يقتضى السرعة .. لقد كان بوسع شركة بترول فى الستينات أن تدرس مشروعًا عدة أعوام . أما الآن فقرارات الـ (بيزنس) يجب اتخاذها خلال أيام .. ومن المتوقع فى عام ١٩٩٠ أن يتم اتخاذ القرار فى اثنتى عشرة ساعة .. »

وعلى متن الطائرة كان هناك (ينسن) وهو جيولوجى شاب ملتح ..

و (إرفنج ليفين) وهو خبير إلكترونيات .. وقد جلسا أمام الكمبيوتر .. لكنهما توقفا كى يصافحا (امى) التى بدت مهتمة جدًا بالأزرار . وراحت تشير : (آمى تلعب صندوق) .. لكن (إليوت) منعها فى لطف ..

جاءت (كارين روس) بطريقتها العملية لتسأله :

ـ « أين تنام (آمى) ؟ »

ـ « إنها ـ ككل الغوريلات ـ تصنع فراشًا طازجًا كل ليلة .. أعطيها بعض الملاءات وسوف تقوم بتكويمها صانعة فراشًا لكى تنام عليه .. »

ـ « والفيتامينات ؟ هل ستبلع الأقراص ؟ »

ـ « يجب إغراؤها أو إخفاء الأقراص فى إصبع

موز .. فالغوريلا لا تقشر الموز قبل أكله ولا تمضغه أبدًا .. ومن المهم أن تنال ثلاثة آلاف وحدة من فيتامين (ج) يوميًا .. »

كان (إليوت) متحمسًا جدًا لأن هذه الرحلة قد تتيح تحقيق حلم قديم لدى علماء سلوك الحيوانات هو (فرض بيرل) ..

كان (فردريك بيرل) قد أعلن فى ١٩٧٢ أن الرئيسيات قد تعلمت لغة الإشارة .. ومن الممكن أن نأخذ أحدها للغابة كمترجم يساعدنا على التفاهم مع أفراد فصيلته .. أى أنه سيعمل سفيرًا لجنسه لدى الإنسان ..

لم يحاول أحد القيام بهذه التجربة من قبل سوى (إليوت) ..

المشكلة هى أن القرود (المثقفة) كانت تظهر تعاليًا واضحًا تجاه القرود الجهلة من أبناء جنسها ..

لكن (آمى) ستكون بداية التجربة الحقيقية ..

وفى الساعة الحادية عشرة مساء انطلقت الطائرة .. واتجهت شرقًا عبر الظلام نحو إفريقيا ..

★ ★ ★

اليوم ٣ : طنجة
١٥ يونيو ١٩٧٩

١ـ الحقيقة الأرضية

كان (إليوت) مع (آمى) منذ كانت رضيعة .. وكان يعرف استجاباتها جيدًا .. إلا أنه كان مندهشًا لسلوكها ؛ فقد توقع أن تهتاج لدى الإقلاع .. وأعدّ محقنًا مليئًا بالـ (ثورالين) المهدئ .

لكنها ظلت هادئة جدًا .. وراحت تتأمل ما يقوم به (بنسن) و (ليفين) ، حتى إنها ربطت حزام مقعدها مثلهما .. أصابها بعض الذعر حين سمعت هدير المحركات ، لكنها لم تر أحدًا مذعورًا حولها ، لذا استرخت في مقعدها وقلدت لا مبالاتهم الملول .. بل إنها تثاءبت عدة مرات ..

لكنها حين نظرت خارج النافذة بعد الإقلاع فكت حزامها .. وراحت تركض فى الممر مكررة إشاراتها مرارًا : (أرض لين أرض لين) ..

حقنها (إليوت) بالـ (ثورالين) وراح يربّت على شعرها .. إن الرئيسيات تكرس أكثر ساعات اليوم لتمشيط شعر بعضها والتهام القمل والقراض .. ويبدو

أن للتمشيط أثرًا مهدئًا على القرود كأثر التربيت عند البشر ..

بعد قليل صحت (آمى) من النوم .. نظرت حولها فرأت الجميع يشربون .. طلبت لنفسها كأسًا من (مشروب به نقطة خضراء) وهى تعنى بهذا كأسًا من المارتينى به زيتونة وسيجارًا ..

إلا أنها تقيأت بعد قليل .. وراحت تعتذر (امى آسفة .. آمى فوضى) ..

قال لها (إليوت) وهو يربّت على ظهرها :

ـ « لا تقلقى .. »

أشارت بأناملها : (آمى تنام الان) .. وكومت الأغطية على الأرض ، وغرقت فى النوم وهى تغط من فتحتى أنفها الكبيرتين ..

جلس (إليوت) جوار (روس) ، فراحت تحدثه عن سبب الرحلة ، وعن مدينة الزنج المفقودة ، وعن محاولات السابقين للعثور عليها ..

ـ « أعتقد أن حملات سابقة كثيرة وجدت المدينة .. لكن أحدًا لم يعد كى يحكى لنا عما رآه .. »

قالت شارحة نظريتها فى البحث :

- « افترضت أولاً أن المدينة موجودة .. فأين هى ؟ »

إن المدينة بها مناجم ماس .. والماس مرتبط بالبراكين .. لهذا بدأت تنظر إلى الوادى المتصدع العظيم فى إفريقيا ، الذى يغطى الثلث الشرقى لقارة إفريقيا لمسافة ١٥٠٠ ميل ..

كان للوادى المتصدع أكبر مما يجب ، حتى إن أحدًا لم يتبين وجوده إلا فى عام ١٨٩٠ .. ويعتبره الجيولوجيون محاولة فاشلة لتكوين محيط ، حيث إن الشرخ لم يكتمل ، ولسبب ما لم يتم الانفصال للجزء الشرقى عن القارة ..

ويميز هذا الوادى عدد مهم من البحيرات والبراكين الوحيدة النشطة فى إفريقيا وكلها فى (فيرونجا) .. إن عددها ثلاثة هى (موكنكو) و (موبوتى) و (كانانجاراوى) .. لذا تبدو (فيرونجا) مكانًا مثاليًا للبحث عن الماس ..

بعد هذا كان على (روس) العثور على (الحقيقة الأرضية) ..

- « وما هى (الحقيقة الأرضية) ؟ »

قالت له :

- « نحن فى ERTS نتعامل مع صور الأقمار الصناعية والمسح الرادارى .. لكن لا شىء يعدل (الحقيقة الأرضية) .. وهى خبرة فريق يعمل على أرض الموقع .. وقد وجد رجالنا الماس هناك كما توقعنا لكنهم لم يجدوا مدينة الزنج .. هذا ممكن فى الأدغال حيث تتعذر الرؤية على بعد أمتار بسبب تشابك الغصون .. لذا كان علىّ أن أجد المدينة بنفسى .. »

وعرضت له على شاشة الفيديو ذلك الفيلم الذى يصوّر ما حدث للحملة السابقة فى (فيرونجا) .. كما عرضت له وجه الغوريللا الذى استطاعت تصحيحه بوساطة الكمبيوتر .. لكنه أصرَّ على :

- « نعم هى تبدو كغوريللا .. لكن للغوريللا لا تهاجم الناس .. إنها حيوانات نباتية مسالمة .. »

وراح يرمق رأس الغوريللا .. كان هناك خطأ ما لم يستطع تبين ما هو ..

سلوك غير معتاد وشىء آخر لا يدرى كنهه ..

أوقف الكادر وتأمل الصورة ، عندها أدرك أن الوجه والفراء لهما لون رمادى .. فسأل (روس) :

ـ « هـل يمكننـا زيادة التبايـن ؟ هـذه الصـورة باهتة .. »

داست بعض الأزرار وهى تقول :

ـ « لا أعتقد .. إن درجات الرمادى سليمة تماما .. »

ـ « إنها رمادية .. والغوريللات لونها داكن أكثر من هذا .. »

وهنا خطر له أنهما ينظران إلى صورة جنس جديد يشبه الغوريللا .. لكن لونه فاتح وسلوكه عدوانى ..

* * *

٢ ـ داخل التابوت

فى ركن من الطائرة ٧٤٧ كانت هناك مقصورة من ألياف الزجاج ، بها شاشة ، ويطلقون عليها اسم التابوت لما تثيره من مشاعر رهبة الأماكن المغلقة لمن يدخلها ..

وبينما الطائرة تعبر الأطلنطى و(إليوت) و(آمى) نائمان يغطان ؛ و(ليفين) و(بنسن) يلعبان المعركة البحرية على شاشة الكمبيوتر ؛ دخلت (روس) إلى التابوت ..

كانت مرهقة لكنها لا تتوقع نومًا كثيرًا خلال الأسبوعين التاليين .. فعليها أن تصل إلى الماس أو تفقد كل شىء .. لقد بدأ السباق وليست لديها النية كى تخسره ..

ضغطت على الأزرار حتى تفتح الاتصال مع (هوستون) .. وانتظرت حتى يبدأ تشفير الاتصال لتجنب المتنصتين ، ومعنى هذا فترة تأخير قدرها خمس ثوان بين الإرسال والاستقبال ..

وعلى الشاشة ظهرت كلمة (ترافيس) ..

ثم ظهرت كلمات (ترافيس) على شاشة الكمبيوتر :

ـ « إن منحرفى الأعين يتقدمون سريعًا .. »

وكانت تعرف لغته .. فهو يسمى اليابانيين باسم (منحرفى الأعين) .. ودائمًا يقول : فى الثمانينات اليابانيون .. فى التسعينات الصينيون .. كلهم منحرفو الأعين .. وكلهم لا يأخذون إجازة يوم الأحد ، ولا يبالون بنتائج كرة القدم .. علينا أن نلحق بهم ..

سألته (روس) :

ـ « التفاصيل ؟ »

ـ « إنهم يعلمون أنك فى الطريق .. والكونغو قد ذهب إلى الجحيم فى الساعات العشر الماضية .. إن لدينا تقريرًا (جيو ـ سياسى) سيئًا جدًا .. »

ـ « اطبع .. »

وعلى الشاشة ظهر التقرير المذكور يقول :

ـ *« الحدود الزائيرية عبر (رواندا) مغلقة بلا تفسير / ربما الجيش الزائيرى يطارد قوات (عيدى أمين) / قبائل (الكيجانى) المحلية ثائرة وتمارس أكل لحوم البشر والعنف / لا يمكن الاعتماد على أقزام الغابة فهم*

يقتلون الغرباء / حكومة (زائير) كلفت الجنرال (موجورو) بالقضاء على ثورة (الكيجانى) بأى ثمن / دخول (زائير) فقط ممكن من الغرب عبر (كينشاسا) / أنتم بحاجة ماسة إلى خدمات كابتن (مونرو) / الموقف خطر / أنتم بحاجة إلى (مونرو) لتظلوا أحياء »

نظرت (روس) إلى الشاشة .. إنها لسوا أنباء ممكنة ..

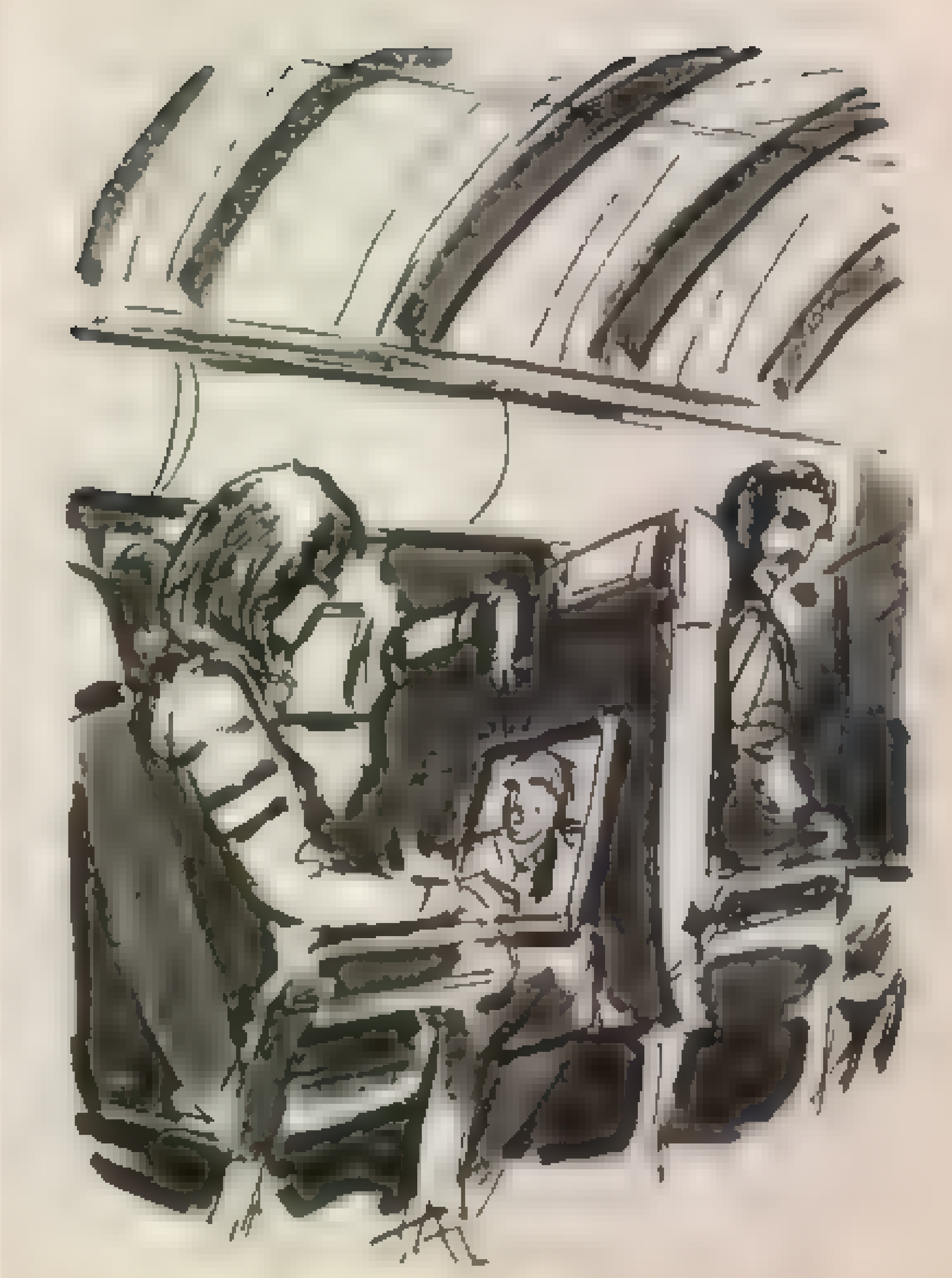
ثم سألها (ترافيس) :

ـ « ماذا عن المسافرين معك ؟ »

ـ « هم بخير .. لا يرتابون فى شىء .. »

ـ « إذن حاولى إبقاء الأمر كذلك .. » .

★ ★ ★



نظرت (روس) إلى الشاشة .. إنها أسوء أنباء ممكنة .

٣ـ مونرو

بدأ (ترافيس) يمارس مهمة إطعام الخصوم بالمعلومات الزائفة .. إن الفريق (الألماني ـ الياباني) لا يعرف إحداثيات مدينة الزنج ، لهذا بدأ في إرسال إحداثيات خاطئة بوساطة اللاسلكي .. وقد قام بتشفير بياناته بشفرة يمكن للمنافسين أن يفكوها خلال اثنتي عشرة ساعة .. فلم يكن ينبغي أن يبدو الأمر سهلاً بالنسبة لهم ..

★ ★ ★

لن تجد اسم الكابتن (تشارلز مونرو) في أية قائمة تضم قادة الحملات الاستكشافية .. وهناك أسباب لذلك أهمها سمعته السيئة ..

لقد تربى (مونرو) في شمال (كينيا) ابنًا لفلاح سكوتلندى وزوجته الهندية .. وقد قتل أبو (مونرو) عام ١٩٥٦ في أثناء إحدى غارات قبائل (ماو ماو) .. واتجه (مونرو) إلى (نيروبى) حيث عمل دليلاً لحملات الصيد ، وأنعم على نفسه بلقب (كابتن) برغم أنه لم يكن في الجيش قط ..

وفى عام ١٩٦٠ بدأ يهرّب الأسلحة من (أوغندا) إلى الكونغو المستقلة .. وفى عام ١٩٦٤ ظهر كواحد من المرتزقة البيض لدى جنرال (موبوتو) تحت قيادة الكولونيل (مايك المجنون) ، حيث عرفه الجميع كـ(رجل خطر يعرف الغابة ، وشديد الكفاءة مادام بعيدًا عن النساء) ..

وفى عام ١٩٦٨ ظهر فى (طنجة) حيث عاش حياة مترفة .. وكان مصدر ثرائه غير معروف .. يقال إنه أمدّ الثوار الشيوعيين بالسلاح عام ١٩٧١ .. وساعد الإثيوبيين الملكيين فى ثورة ١٩٧٤ ..

وأدت نشاطاته الكثيرة إلى جعل (مونرو) شخصًا غير مرغوب فيه (برسونا نان جراتا) لدى دستة من الدول الإفريقية .. وكان يسافر كما يريد مستعملاً جوازات سفر مختلفة ، وكل موظفى الجمارك كانوا يعرفون وجهه .. لكنهم لا يجرءون على منعه من دخول البلاد ..

وقد قاد إحدى حملات ERTS عام ١٩٧٧ إلى (أنجولا) فى أثناء الحرب الأهلية بها .. وقد شهد الجميع له بأنه أفضل رجل للظروف الخطرة ..

ولهذا توقفت طائرة ERTS فى (طنجة) ..

★ ★ ★

دوّى صوت الأذان فوق البيوت وقت الغسق يدعو المؤمنين إلى الصلاة ..

بينما (كارين روس) تجلس فى شرفة دار (مونرو) تنتظر لقاءها مع الرجل .. فى حين جلس (إليوت) مرهقًا من الرحلة الطويلة ..

بدأت تشعر بالقلق وقد طال الانتظار .

ومن داخل البيت تسمع أصواتًا يحملها النسيم تتحدث العربية .. ودخلت الشرفة إحدى الخادمات وانحنت وهى تناولها جهاز الهاتف قائلة :

ـ « مكالمة لـ د. (روس) من (هوستون) ! »

جلس (إليوت) يرمق ما حوله فى دهشة .. لقد كان يتوقع مكانًا عسكريًا خشنًا .. لكنه دهش حين رأى بيتًا مغربيًا جميلاً به نافورات تتألق شمس الغروب فى مائها ..

عندئذ رأى الألمان واليابانيين فى الغرفة المجاورة ، ينظرون له ولـ(روس) بنظرات غير ودود .. لقد جاءوا من أجل (مونرو) !

هنا نهضت (روس) .. ورآها (إليوت) تتجه إلى شاب أشقر فتعلقته .. وكأنهما حبيبان قديمان .. وبدا الاستياء على اليابانيين حين رأوا المشهد .. فانتظر (إليوت) حتى عادت وسألها :

ـ « من كان هذا ؟ »

ـ « هذا (ريختر) .. أفضل عالم (توبوجرافيا) فى غرب أوروبا .. إنه عبقرى ربما مثلى تمامًا ! »

ـ « لكنه ألمانى .. أى يعمل ضدنا .. »

ـ « إن (كارل) لا يملك خيالاً .. ولا يستطيع ابتكار شيء جديد .. إنه أسير للحقائق مربوط بالواقع .. هوذا (مونرو) .. »

ورأى (إليوت) (مونرو) يدخل الغرفة المجاورة .. كان رجلاً ضخمًا ذا شارب كث يرتدى (الخاكى) ويدخن السيجار .. وله عينان مدققتان لا يفوتهما شيء ..

تكلم مع الألمان واليابانيين فلم تبد عليهم السعادة، ثم عاد إلى الغرفة وقال لـ (روس) بصوت قوى :

ـ « إذن أنت ذاهبة إلى الكونغو يا د. (روس) ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « يبدو أن الكل ذاهب إلى هناك .. »

ـ « خمسون ألف دولار ونسبة ٠,٨٪ من المصدر فى العلم .. »

ـ « مائة ألف .. »

ثم إنه عاد إلى الغرفة المجاورة ليسمع عرض الألمان ـ اليابانيين .. وكان الهاتف مازال مع (روس) والخط مفتوح على (هوستون) .. فهمست فى السماعة :

ـ « وغد ! إنهم يريدونه بشدة ! »

قال (إليوت) :

ـ « يبدو أنك تعتمدين عليه جداً .. »

ـ « لأنه الأفضل .. »

واستمرت المفاوضات فى الغرفة المجاورة .. ولاحظت (روس) أن الألمان محتقنون غاضبون .. ثم إن (مونرو) عاد إليهما وقال :

ـ « ليست (فيرونجا) حديقة غناء فى هذه الأيام .. إن (الكيجانى) ثائرون والأقزام غير ودودين .. ومن السهل ن تجدى سهمًا فى ظهرك ينهى عذابك .. والبراكين تهدد بالثورة .. ماء فاسد .. ذبابة (تسى تسى) .. ليس بالمكان الذى تذهبين إليه دون سبب قوى .. »

قالت (كارين روس) :

- « يبدو أننا لن نتفق .. »

ودون كلمة أخرى عاد (مونرو) إلى الغرفة التي بها الألمان واليابانيون .. وبدأت المفاوضات من جديد ..

قالت (روس) لـ(إليوت) الذي لم يفهم شيئًا :

- « إن الأمور تتحسن .. فهو يعتقد أننا نعرف عن الموقع أكثر من الآخرين .. وبالتالي سنجد ما نبحث عنه سريعًا وندفع له نسبة مناسبة .. »

وفي الغرفة الأخرى وقف المنافسون ، ليصطحبهم (مونرو) إلى الباب فيصافح الألمان وينحني لليابانيين ..

قالت (روس) في قلق :

- « كلا .. مستحيل أن يستسلموا بهذه السهولة ! »

عاد (مونرو) إليهما .. وقال لهما إن العشاء معدّ ..

★ ★ ★

جلسوا يأكلون العشاء المكون من (طواجن) وفطيرة الحمام ..

وسألت (روس) (مونرو) :

- « هل حقًا تخلصت من اليابانيين ؟ »

- « كلا .. أنا إنسان مهذب .. قلت لهم إنني سأفكر في الأمر .. »

ثم سألتها من جديد عن ضالتها التي تريدها في الكونغو .. فقالت :

- « ماس صناعي .. »

- « آه ! ماس صناعي .. إنني أستمتع بالحديث الصريح ! ولكن العالم مليء بالماس الصناعي .. يمكنك أن تجديه في الهند وروسيا والبرازيل .. بل في الولايات المتحدة في (أركنساس) .. لماذا الكونغو بالذات ؟ »

- « نحن نبحث عن نوع IIb من الماس الأزرق المغطى بالبورون .. وله خواص شبه موصلة مهمة لصناعة الإلكترونيات .. »

داعب شاربه وغمغم :

- « ماس أزرق .. معقول .. لكن ألا تستطيعون تخليقه في المعمل ؟ »

- « نعم .. لقد جربنا ذلك .. وحاول اليابانيون كثيرًا لكنهم تخلوا عن الفكرة لأنها غير ذات نفع .. »

وفي إصرار وبصوت مسطح كررت :

- « أريد الذهاب إلى هناك حالاً .. »

وقف (مونرو) عند النافذة .. وقال :

- « لا شيء مثل (البيزنس) يثير اهتمام مس (روس) .. إنه ليدهشني أن .. »

وعندما انطلقت أول دفعة من الطلقات ، ألقى بنفسه أرضًا ، وصرخت إحدى الخادمات .. وهشمت الطلقات الأوانى الخزفية والزجاج الذى كان على (الطبلية) .. واستمر التصويب ثلاثين ثانية ثم ساد الصمت ..

نهض الموجودون وتبادلوا النظرات ..

قال (مونرو) باسمًا :

ـ « إنهم يلعبون جيدًا هذا هو طراز الناس الملائم لى .. »

نهضت (روس) تنفض الغبار عن ثيابها .. ونظرت لـ (مونرو) وقالت :

ـ « ٥,٦ ٪ .. ولن تكون هناك استقطاعات »

ـ «٥,٧ ٪ وسأكون لك .. »

ـ « ليكن .. »

صافحهما وأعلن أنه سيكون مستعدًا خلال دقائق للسفر إلى (نيروبى) .. ارتفعت سرينات عربات الشرطة قادمة إلى مكان الطلقات ، فقال لهما :

ـ « هلما .. سنرحل عبر الباب الخلفى .. »

وخلال ساعة كانوا يطيرون نحو (نيروبى) .

★ ★ ★

اليوم ٤ : نيروبى
١٦ يونيو ١٩٧٩

١ـ الخطّ الزمنى

كانت المسافة من (طنجة) إلى (نيروبى) أطول من المسافة عبر الأطلنطى من (نيويورك) إلى (لندن) .. وتستغرق ثمانى ساعات فى الجو ..

وكانت (روس) أمام شاشة الكمبيوتر تدرس الخطوط الزمنية ، وبها يحاول الكمبيوتر إيجاد أسرع طريقة للوصول إلى (فيرونجا) .. وكان أفضل ما وصل إليه هو خمسة أيام واثنتان وعشرون ساعة ..

ـ « هذا أفضل .. لكنه ليس بما يكفى .. حسب هذا سيصل المنافسون إلى (فيرونجا) فى الثامنة صباح ٢١ يونيو .. أى أنهم يسبقوننا بأربع ساعات بعد خمسة أيام من الآن .. »

بدا الذهول على (إليوت) .. فقد بدا له هذا سخيفًا .. وقال :

ـ « لكن ـ بالطبع ـ لن تعتمدوا على هذه الأرقام بعد دخول الكونغو .. »

ـ « لم يعد الأمر كالحملات القديمة التى كانت تختفى شهورًا .. إن الكمبيوتر لا يخطئ أكثر من نصف ساعة فى أربعة أيام .. »

★ ★ ★

فى عام ١٩٧١ ، تنبأت شركة (إنتك) أن أشباه الموصلات الماسية ستكون مهمة لأجهزة الكمبيوتر فى المستقبل ..

وكان أول جيل من الحاسبات الآلية (أدفاك) و (إنياك) ـ اللذين تم بناؤهما سنة ١٩٤٠ فى وقت الحرب ـ يعمل بالأنابيب المفرغة .. ومتوسط عمل الأنبوبة هو عشرون ساعة .. وكانت بعض أجهزة الكمبيوتر تنطفئ كل سبع دقائق ..

ولم يستعمل الجيل الثانى من الحاسبات الأنابيب المفرغة .. لأن (الترانزستور) تم اختراعه عام ١٩٤٧ ـ وهو شريحة بحجم الظفر تؤدى كل وظائف الأنبوبة المفرغة ـ وبهذا تكوّن جيل من الإلكترونيات ، تحتاج إلى كهرباء أقل وتصدر حرارة أقل وتعمل بكفاءة أكثر .. ولمدة عشرين عامًا خدمت تكنولوجيا (السيليكون) أجيالاً من الكمبيوتر ..

لكن مصممى الحاسبات واجهوا فى السبعينات مشكلة تقنية (السيليكون) الدائمة ، فسرعة الكمبيوتر تعتمد تماماً على قصر الدائرة .. وكلما قصرت الدائرة كلما ازدادت الحرارة الخارجة منها .. الحرارة التى قد تذيب الدائرة حرفيًا ..

وفى عام ١٩٧٧ أعلنت شركة IBM أنها صممت جهاز كمبيوتر فائق السرعة بحجم ثمرة الـ (جريب فروت) ، مجمدًا فى النتروجين السائل .. وكان هذا هو بداية عصر الماس المخلّق فى صناعة الكمبيوتر ..

لكن العلماء تنبئوا بأن نقص عناصر التوصيل فى الثمانينات ، سيضرّ بنقل المعلومات .. بنفس القدر الذى أضرّ به نقص البترول بوسائل الانتقال فى السبعينات .. لقد حرمنا من (الحركة) والآن سنحرم من (المعلومات) ..

وتنبأ العلماء بأن الماس شبه الموصل والليزر سيكونان هما الأمل الوحيد لنا فى المستقبل .. وهذا يعنى أن الماس سيكون أثمن من البترول فى الحقبة القادمة .

وفى قلب الأسواق المتنافسة ، تزايد القلق بصدد

القوى الأجنبية .. وخاصة اليابان التى راحت تمارس التجسس الصناعى على نطاق واسع ..

لذا صار السباق محموماً من أجل الماس الأزرق ، لأن من سيجده سيسبق الآخرين فى مجال التكنولوجيا خمس سنوات كاملة .. وخمس سنوات تكنولوجية تعنى عشرة بلايين من الدولارات ..

ولم تنس (روس) قط ما قاله لها (ترافيس) :

ـ « لا تخافى من أن تجعلك الضغوط تجنين .. فهناك بلايين الدولارات فوق كاهلك .. ابذلى خير ما لديك من جهد .. »

ولهذا بذلت خير جهد لديها .. واستطاعت اختصار الخط الزمنى للحملة ثلاث ساعات وسبعًا وثلاثين دقيقة ..

لكنهم ظلوا متأخرين .. وهذا معناه كارثة فى سباق (الفائز ـ يأخذ ـ كل ـ شىء) هذا ..

★ ★ ★

٢ - نيروبى

على بعد خمسة أميال خارج (نيروبى) يمكنك أن ترى (سافانا) شرق إفريقيا الوحشية ، وبها الغزلان والزراف والثيران البرية .. وفهد يتسلل ــ من حين لآخر - إلى مضجع أحدهم ..

لقد تغيرت المدينة كثيرًا عن أيام المستعمرات ، حين كانت مكانًا يفيض بالحياة ، حيث الرجال يشربون ويزدادون خشونة ، والنساء يزددن حسنًا ..

أما (نيروبى) الحديثة فهى مدينة عصرية بها ناطحات سحاب ، ومشاكل مرور ، وسوبر ماركت ومغاسل وهواء ملوث ..

هبطت طائرة ERTS عند الفجر فى مطار (نيروبى) .. وكان المفترض أن يرحلوا من (نيروبى) خلال ساعتين ..

اتصل (ترافيس) بهم من (هوستون) يخبرهم أن (بيترسون) فى (نيروبى) الآن .. و(بيترسون) هو واحد من أفراد الحملة الأخيرة ..

تحمست (روس) وسألته :

- « وأين هو الآن ؟ »

- « فى مشرحة المدينة .. »

★ ★ ★

نظر (إليوت) إلى المنضدة المصنوعة من صلب لا يصدأ ، والتى رقد عليها رجل أشقر من سنة .. له ذراعان مهشمتان وجلد منتفخ ولون قرمزى .. وهنا دخل أخصائى الباثولوجى .. وسأل (روس) :

- « هل يمكنك تعرّف هذا الشخص ؟ »

قالت فى برود دون أن تحول عينيها وكأنها تفحص عينة جيولوجية :

- « نعم .. إنه (جيمس بيترسون) .. »

وحكى لهم الأخصائى أن المتوفى قد جاء إلى (نيروبى) أمس فى طائرة شحن صغيرة ، مصابًا بصدمة نهائية .. ومات بعد ساعات .. كانت الطائرة قد هبطت فى أحد الحقول بسبب مشكلة ميكانيكية .. عندها ظهر هذا الرجل خارجًا من الأحراش وسقط جوار الطائرة ..

سألته (روس) :

- « ما الذى يحدث إصابة كهذه »

- « لم أر شيئًا كهذا .. تبدو لى كحادث سيارة أو شاحنة .. لكنها قلما تحدث فى كلا الذراعين .. وقد وجدنا خيوط شعر رمادى وبقعة دم تحت أظفاره .. ونحن نجرى اختبارًا الآن .. »

ثم قال :

- « إن الشعر ليس آدميًا .. بل هو شعر حيوان .. »

هنا بدأ جهاز التحليل يصدر صوت أزيز ..

وعلى شاشته رأوا خطوطًا ملونة على جانبى الصورة ..

- « هذا الذى على اليمين دم بشرى .. وعلى اليسار عينة الدم التى وجدناها تحت أظفاره .. وواضح أنها ليست آدمية .. »

- « غير آدمية ؟ »

- « ربما هى لخنزير أو لحيوان يشبه القرد .. »

وعلى الشاشة ظهر تقرير الكمبيوتر :

- « الجلوبيولين ألفا وبيتا يتطابقان : دم غوريللا .. » ..

★ ★ ★

٣ ـ الفحص

قال (إليوت) للموظف المذعور وهما يقفان فى قمرة المسافرين :

- « لا تخف .. لن تؤذيك .. انظر .. إنها تبتسم .. »

كانت (آمى) تحاول أن تظهر أفضل ابتسامة لديها ، وحاولت ألا تظهر أسنانها .. لكنه لم يهدأ بالاً .. وارتجف المحقن فى يده ..

كانت هذه آخر فرصة لـ (آمى) كى يتم فحصها طبيًا .. فجسدها الضخم القوى يحمل هشاشة داخلية ، وكان على الفريق فى (سان فرانسسكو) أن يفحصها مرارًا .. عينات بول يومية .. عينات براز أسبوعية .. صورة دم شهرية .. طبيب أسنان كل ثلاثة أشهر لإزالة (الترتار) الأسود الناجم عن أكل الخضر ..

كان الموظف خائفًا .. وتقدم منها بالمحقن كأنه يشهر سلاحًا ..

- « متأكد أنها لن تعض ؟ »

أشارت (آمى) له : (آمى تعد لن تعض) ..

قال له (إليوت) :

ـ « لا تخف .. لن تعضك .. »

تقدم الموظف ليسحب عينة الدم .. فما إن فرغ حتى تنهد وقال :

ـ « يا لها من وحش قبيح ! »

ـ « حذارِ .. أنت تؤذى شعورها .. »

وكان (إليوت) قد عرف أن الناس يتعاملون مع القرود بجهل .. فهم يرون الشمبانزى طفلاً شقيًا .. ويعتبرون (الأورانج أوتان) شيخًا حكيمًا .. ويعتبرون الغوريلا وحشًا مرعبًا ضخمًا .. وكانوا دائمًا مخطئين .. إن الشمبانزى أكثر شراسة من الغوريلا .. لقد رأى (إليوت) الأمهات فى حديقة الحيوان يقربن أطفالهن من الشمبانزى ويبعدنهم عن الغوريلا .. فلا واحدة من تلك الأمهات تعرف أن الشمبانزى الثائر يلتهم الأطفال .. وهو شيء لا تفعله الغوريلا أبدًا ..

وكانت (آمى) تخفى تحت شكلها المرعب روحًا رقيقة حساسة ، يدميها أن ترى الناس يفرون هاربين منها ويصرخون ..

غادر الموظف الطائرة .. فأشارت (آمى) : (رجل سخيف) ..

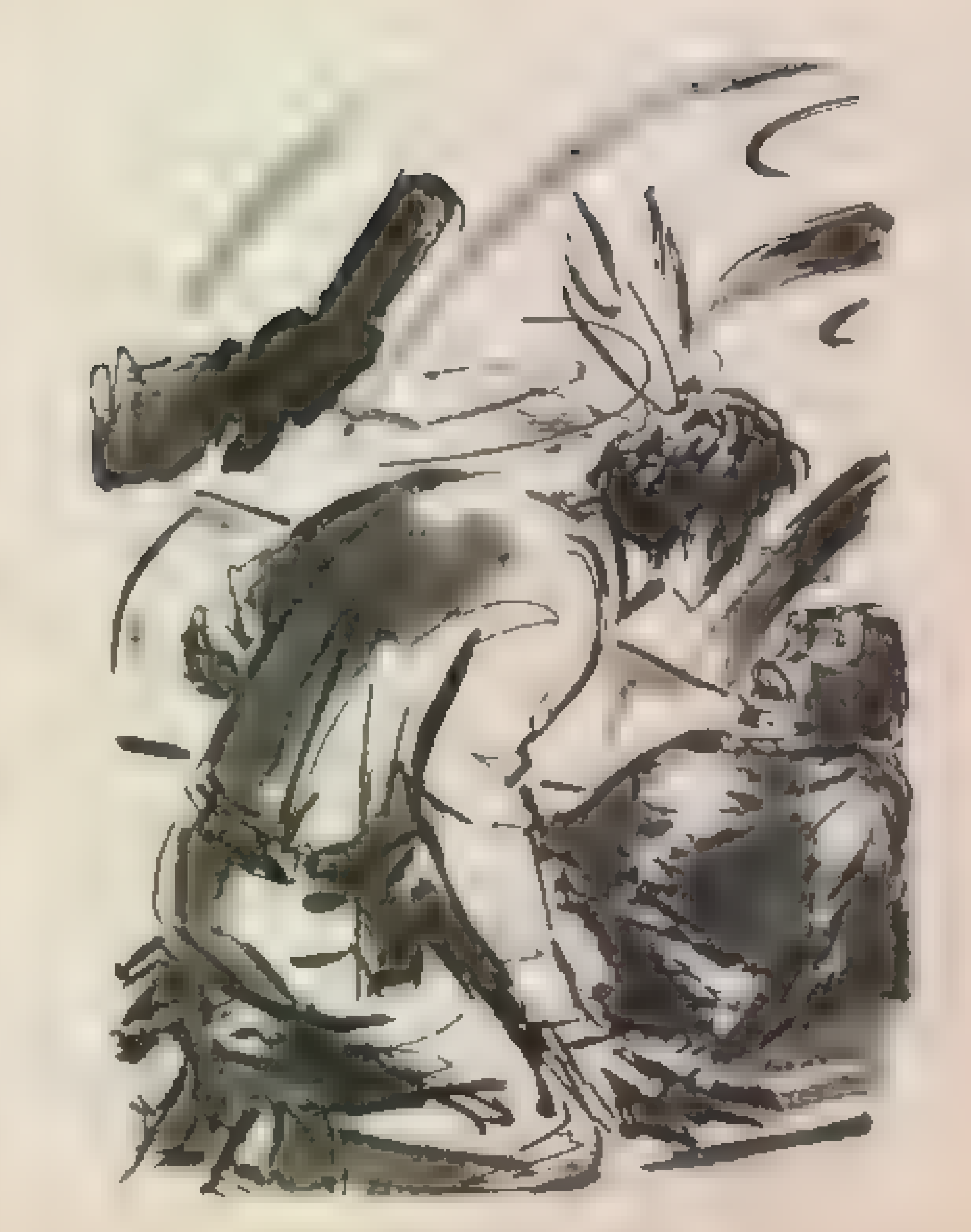
ـ « لا عليك .. دعى (بيتر) يدغدغ (آمى) .. »

ورقدت (آمى) على الأرض ولمدة ربع ساعة راح (بيتر) يدغدغها .. وهى تضحك فى رضا تام ..

لم يلحظ الباب ينفتح وراءه .. ولم يلحظ الظل الذى بدا فيه ..

فى اللحظة التالية هوى شيء ثقيل على رأسه .. بعدها صار كل شيء أسود ..

★ ★ ★



فى اللحظة التالية ، هوى شىء ثقيل على رأسه ..

٤ـ مخطوفة

أفاق على صوت أزيز إلكترونى حاد .. ومن يقول له ألاّ يفتح عينيه . وحين فتحهما أخيرًا رأى رجلاً يرتدى معطفًا أبيض ينحنى عليه .. وأطراف أصابعه مبتلّة بالدم ..

قال الرجل مطمئنًا :

ـ « لا تخش شيئًا .. إنه جرح سطحى .. كم تظنون لبث فاقد الوعى ؟ »

دوى صوت (مونرو) يقول :

ـ « دقيقتين لا أكثر .. »

ـ « يجب أن يوضع تحت الملاحظة لمدة أربع وعشرين ساعة .. »

هنا سأل (إليوت) :

ـ « أين هى ؟ »

ـ « لقد فتحوا الباب الخلفى وأخذوها .. ووجدنا هذا بجوارك .. »

ومدّ يده بزجاجة عليها نقش نباتى .. وفى طرفها

إبرة محطمة فنهض (إليوت) ورأسه يخفق بالألم .. وتساءل وهو يتشمم الزجاجة :

ـ « هل كان عليها ثلج حين وجدتموها ؟ »

ـ « نعم .. كانت باردة جدًا .. »

ـ « هذا ثانى أوكسيد الكربون .. طلقة من مسدس غاز .. وأظنهم قد استعملوا الـ (لوباكسين) .. الأوغاد ! لقد تهشمت الإبرة فى جسدها .. واستعملوا مخدرًا لانستعمله لأنه يسبب فشلاً كبديًا للحيوانات .. »

وتخيل صراخ (آمى) المذعور فى أثناء اختطافها .. فهى حيوان تعوّد على أرقّ وألطف معاملة .. ولم تكن معدّة بحال لمواجهة العالم الخارجى الخشن ..

فى هذا الوقت كانت (روس) عاكفة على فحص الطائرة .. باستخدام جهاز إلكترونى صغير .. واستطاعت أن تدرك أن الطائرة مليئة بأجهزة التنصت التى زرعها المقتحمون ..

سألها (إليوت) :

ـ « هل تظنين أنهم أخذوا (آمى) خارج البلاد ؟ »

ـ « بالطبع لا .. فلن تفيدهم فى شىء .. »

ـ « هل قتلوها ؟ »

ـ « محتمل ؟ »

ثم أردفت :

ـ « لكننى أشك فى هذا .. فهم لايرون جدوى من (آمى) ولا يعرفون سبب جلبنا لها هنا .. فقط يحاولون نسف جدولنا الزمنى لكنهم لن ينجحوا فى ذلك .. »

كان فى نبرتها ما أوحى لـ (إليوت) أن (روس) تنوى الرحيل دون (آمى) .. وأثارت هذه الفكرة ذعره .. فصاح :

ـ « يجب أن نستعيدها .. لن أتركها هنا ! »

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر وقالت :

ـ « لم يبق لنا سوى ٧٢ دقيقة بعدها يُدمّر جدولنا الزمنى .. »

ـ « لن أترك (آمى) .. لو كنت تنوين تركها فافعلى هذا معى أيضًا ! »

قالت (روس) :

ـ « دعنى أقل لك شيئًا : أنا لم أعتقد قط أن (آمى) مهمة لحملتنا .. ومن البداية كانت وسيلة لتشتيت انتباه المنافسين .. الآن لم يعد الأمر يستحق العناء .. وإذا اضطررت لترككما سأفعل .. »

★ ★ ★

٥ ـ أجهزة تتبّع

هتف (إليوت) فى غيظ :

ـ « اللعنة !.. إذن تريدين القول إننى .. »

فى برود قالت :

ـ « نعم .. يمكن الاستغناء عنك .. »

كانت تتكلم وهى تجذبه من ذراعه خارج الطائرة ، وإصبعها على فمها منذرة .. لكنه لم يكن ينوى أن يهدأ .. إن (آمى) مسئولة منه ولتذهب للجحيم كل الماس الأزرق وصراع الشركات ..

وكان قد خرج من الطائرة إلى الممر .. فصاح :

ـ « لن أرحل دون (آمى) .. »

ـ « ولا أنا ! ألا تفهم ؟ هذه الطائرة ملأى بالبقّ (أجهزة التنصت) .. وهم يصغون لنا .. وكلامى كان موجهًا لهم لا لك .. اسمع .. أنا أعرف أن الغوريلات لها دخل بما حدث لفريقنا فى الكونغو .. وأعتقد أن (آمى) ستساعدنا حين نصل هناك .. فهى تعرف عن الغوريلات أكثر منا .. »

ـ « وهل يمكنك العثور عليها خلال ساعة ؟ »

ـ « اللعنة لا ..! » ـ ونظرت إلى ساعتها الرقمية ..

« لن أحتاج إلا إلى عشرين دقيقة ! »

★ ★ ★

ـ « اهبط .. اهبط ! »

كانت جالسة جوار طيار الهليوكوبتر ، تنظر إلى جهاز التتبع المعلق على صدرها وتصدر تعليماتها للرجل .. بينما هو يدور فى سماء (نيروبى) حول (الهيلتون) ..

ـ « اتجه شرقًا .. »

ومالت الطائرة خارجة من المدينة .. وقد جلس (إليوت) فى المقعد الخلفى شاعرًا بمعدته تتقلص .. لكنه صمم على المجىء لأنه الوحيد الذى يعرف كيف يتعامل مع (آمى) لو كانت فى مشكلة ما ..

ـ « اتجه شمالاً .. »

وكانوا يطيرون فوق ساحة جراج بها أكوام من القمامة .. وراحت الطائرة تهبط تدريجيًا .. وغادرتها (روس) جريًا وهى تهتدى بالجهاز على صدرها .. حتى وصلت إلى كومة من القمامة كريهة الرائحة ، لكنها مدت ذراعيها حتى الكوعين مفتشة وسط الكومة ..

فى النهاية أخرجت قلادة (آمى) التى ثبتتها لها .. والتى وضعت فيها جهاز تنصت ..

ـ « اللعنة .. ضاعت ست عشرة دقيقة ! »

ثم أردفت وهى تركض إلى الطائرة :

ـ « لقد تخلصوا من جهاز التنصت هنا كى يضللونا .. »

ـ « وكيف ستجدينها بعد هذا ؟ »

ـ « لا أحد يزرع جهاز تنصت واحدًا .. إنها مجرد خدعة المفترض أن يجدوها .. والآن علينا أن نواصل البحث .. »

وارتفعت الهليوكوبتر فتطاير الورق فى كل مكان ..

اتجهوا إلى مقبرة للسيارات القديمة .. وبدأت الطائرة تهبط وسط حشد من الأطفال المهللين .. ونزلت (روس) من الطائرة جريًا .. وقالت لـ (إليوت) :

ـ « هذا مكان مناسب جدًا .. يجب أن يضعوا (آمى) محاطة بالمعادن على سبيل منع الإشارات الصادرة عنها .. »

سمع (إليوت) صوت أنين قادمًا من حافلة (مرسيدس) قديمة .. وفى الداخل وجد (آمى) مقيدة

بشريط لاصق ، وفى الناحية اليمنى من صدرها وجد الإبرة المكسورة فانتزعها .. وانتزع الشريط فصرخت ألمًا ..

قال لها وهو يتحسس أطرافها :

ـ « كل شىء على ما يرام يا (آمى) .. »

ثم سأل (روس) :

ـ « أين أخفيت جهاز التتبع الآخر ؟ »

ـ « لقد ابتلعته ! »

شعر بغضب جامح :

ـ « ألا تفهمين أنها حيوان رقيق وصحته هشة ؟ »

ـ « لا تتضايق .. هل تذكر الفيتامينات التى ابتلعتها ؟ ليس هذا سيئًا فقد وجدناها خلال أربعين دقيقة ومازال أمامنا وقت لا بأس به .. » .

★ ★ ★

٦ ـ الرحيل

بدأت عملية نقل المتاع من الطائرة ٧٤٧ إلى طائرة من طراز (فوكر ـ إس ـ ١٤٤) .. وكان الغرض من الطائرة الصغرى هو أن الـ ٧٤٧ مزروعة بأجهزة التنصت .. ويحتاج الأمر إلى وقت أطول لتنظيفها ..

وساعد (إليوت) (آمى) على ركوب الطائرة الـ (فوكر) .. بينما راح الحمالون الزنوج ينقلون الأشياء ويضحكون ويضربون بعضهم على الظهور ..

وجد (روس) واقفة تتحدث مع عملاق زنجى قدمته له باسم (كاهيجا) ..

قال (كاهيجا) مصافحًا (إليوت) :

ـ « آه ! د. (إليوت) ود. (روس) .. طبيبان ! ممتاز ! »

لم يفهم (إليوت) ما يجعل هذا ممتازًا .. لكن الرجل واصل الضحك :

ـ « ليس كالأيام الخوالى مع (مونرو) .. الآن دكتوران .. طبيبان .. مهمة علمية .. أليس كذلك ؟ »

قالت (روس) :

ـ « إن (كاهيجا) مصرّ على أننا نهرّب السلاح .. ولايصدق أننا لانفعل .. مادمنا مع كابتن (مونرو) .. »

وابتعد (كاهيجا) ليلحق بالآخرين ..

قالت (روس) :

ـ « سيكون لدينا (كاهيجا) وسبعة رجال من قبيلة (كيكيويو) .. ونحن ثلاثة و (آمى) .. سيكون الوزن حوالى ٤٨٠ رطلاً .. »

ـ « هل الحمالون من (الكيكيويو) ؟ »

ـ « نعم .. رجال طيبون لكنهم يحبون المزاح ولايسكتون أبدًا .. وكلهم أشقاء ! لهذا كن حذرًا فى كلامك .. »

وفى الساعة ٩,٢٤ أقلعت الطائرة من مطار (نيروبى) ..

★ ★ ★

لمدة ست عشرة ساعة حلقت طائرة ERTS فوق أربعة أقطار .. هى (كينيا) و (رواندا) و (تنزانيا) و (زائير) ..

واحتاج الأمر إلى علاقات (مونرو) مع المخابرات

الصينية فى (تنزانيا) .. إن نشاط الصينيين فى إفريقيا لشىء معروف منذ الستينات حين كان الروس هم الأعداء .. ثم صار اليابانيون هم الأعداء بعد ذلك .. وكان معنى هذا أن (مونرو) والصينيين يتلاقون فى نقاط عديدة ..

وفى العاشرة من مساء يوم ١٦ يونيو ، هبطت الطائرة الـ(فوكر) فى (رواماجينا) فى (رواندا) لتملأ بوقودها ..

★ ★ ★

اليوم ٥ : موروتى
١٧ يونيو ١٩٧٩

١ ـ زانير(*) ..

بعد خمس ساعات من الإقلاع من (روماجينا) تغير المنظر .. فهم الآن عند أطراف غابة الكونغو على أطراف (زانير) ..

وراح (إليوت) يرمق المشهد مذهولاً .. الأشجار العملاقة السامقة والأنهار الموحلة .. كان المنظر مرعبًا لأنه يواجهك بما سماه (ستانلى) باسم (العظمة اللامبالية للطبيعة) ..

وكان (إليوت) يعرف أن الغابة تمتد ألفى ميل غربًا ، حتى ساحل المحيط الأطلسى .. ونظر لـ (آمى) فوجدها ترمق المشهد باهتمام .. لكن لم يبد عليها أنها تعرفت شيئًا معينًا ..

كان الرجال فى مؤخرة الطائرة يحزمون الأدوات ويرتبونها .. دنا (إليوت) من (كاهيجا) سائلاً :

ـ « كم يبعد المطار ؟ »

(*) بعد الانقلاب الذى تم على (موبوتو) عادت البلاد تسمى (الكونغو) مرة أخرى .

ـ « المطار ؟ »

ـ « نعم .. مطار (موكنكو) .. »

تبادل (كاهيجا) النظرات مع رجاله .. وقال لهم شيئًا ما بالسواحلية .. ومن ثم انفجروا جميعًا يضحكون .. فعاد (إليوت) يسألهم عن الشىء المضحك .. فقال (كاهيجا) وهو يضربه على ظهره :

ـ « آه يا دكتور ! أنت تملك روح دعابة قوية ! »

ودارت الطائرة دورة فى الهواء .. فنظر الجميع خارج النوافذ .. واستطاع (إليوت) أن يرى صفًا من عربات الجيب الخضراء تمشى فى طريق موحل ، وسمع الكلمة مرارًا (موجورو) ..

الآن تحلق الطائرة غربًا فوق الأشجار .. بينما إخوان (كاهيجا) يمزحون ويضربون بعضهم على ظهورهم .. بدا أنهم يستمتعون بوقت طيب حقًا ..

اتجه إلى (روس) فوجدها تفتح عدة صناديق ، لتخرج منها كريات من المعدن البراق بحجم كرة السلة .. وذكّره المنظر بزينة عيد الميلاد ..

عندها سمع أول انفجار .. واهتزت الطائرة فى الهواء ..

جرى إلى النافذة فرأى خطًا من الدخان الأبيض على اليمين ، بينما الطائرة تهبط منحدرة نحو الغابة .. ورأى خطًا أبيض آخر يدنو ..

لقد كانت قذيفة .. قذيفة موجهة !

صرخ (مونرو) :

- « (روس) ! »

فهتفت :

- « مستعدة ! »

ودوّى انفجار قوى جوار النافذة فلم يعد يرى شيئًا لأن الدخان الأبيض ملأها .. واهتزت الطائرة من جديد ..

وصرخ (مونرو) :

- « إنها بالرادار .. ليست بصرية بل بالرادار .. »

هرعت (روس) حاملة الكرات المعدنية إلى الباب الخلفى ، وكان (كاهيجا) قد فتحه لها .. فطوحت حمولتها إلى الهواء .. وتراجعت ..

صاح (إليوت) :

- « ماذا يحدث ؟ »

ثم دوّى صوت انفجار قوى .. وانحدرت الطائرة ثمانية أميال جنوبًا ثم دارت حول الغابة .. واستطاع

أن يرى الكرات معلقة فى الهواء كسحابة معدنية .. ورأى صاروخين يلحقان بالسحابة ثم ينفجران داخلها ..

صدمة الاهتزاز مزعجة جدًا ..

قالت (روس) وهى تجلس :

- « إنها خدعة لتحيّر أجهزة الرادار .. إن صواريخ (سام) تعتبرنا فى مكان ما داخل السحابة .. »

سمع كلامها وأحس أنه يحلم .. وسألها :

- « ولكن من يطلق علينا ؟ »

قال (مونرو) :

- « بالطبع القوات الجوية الزائيرية .. فنحن بالنسبة لهم نعتبر مخترقين للمجال الجوى الزائيرى دون إذن ...... »

- « ربّاه ! »

جذبه (مونرو) للخارج .. وقال وهو يربّت على كتفه :

- « لا تخف .. إنها صواريخ (سام) عتيقة من الستينات أغلبها ينفجر فى الهواء قبل بلوغ الهدف .. لا خطر هناك .. »

★ ★ ★

كانت الخطة التى وضعتها (روس) و(مونرو) تسمح لهم بالتغلب على المنافسين وتحقيق فارق أربعين ساعة كاملة ..

وكانت هذه الخطة تستدعى الهبوط بالمظلات فوق جانب بركان (موكنكو) .. وهذا خطر لأنه يقتضى أن يثب أشخاص غير مدربين بالمظلات ، ويمشوا ثلاثة أيام على الأقدام فى مناطق وعرة شرسة ..

إلا أن الكمبيوتر قدر فرصة النجاح فى الوثب بـ 0.798 ، بينما الوثب الناجح يعنى فرصة 0.9943 فى نجاح الحملة .. أى أن النصر مؤكد ..

وقالت (روس) وهى ترمق الأرقام :

- « واضح أننا سنقفز .. »

إن للقفز مزية أخرى هى تجنب قوات الجيش وقبائل (كيجانى) ..

لكنهم كانوا قد نأوا كثيرًا عن مكان القفز ، كما أن (روس) وجدت تشويشًا فى جهاز الكمبيوتر يمنعها من الاتصال بالقمر الصناعى ..

إنها ظروف سيئة لكن ما باليد حيلة ..

وانفجر صاروخ (سام) آخر .. فهرع (مونرو) إلى مؤخرة الطائرة وقال :

- « فليستعد الرجال .. »

- « حسن يا ريس .. »

قالها (كاهيجا) فدارت زجاجة (ويسكى) على الرجال يجرع كل منهم جرعة منها ..

فتساءل (إليوت) :

- « ما هذا بحق الجحيم ؟ »

- « الرجال يستعدون .. »

- « لماذا ؟ »

هنا برزت (روس) من مؤخرة الطائرة مقطبة الوجه وقالت :

- « من هنا تبدأ رحلتنا على الأقدام ! »

- « وأين المطار ؟ »

- « لا مطار هنالك .. »

وتقلصت معدة (إليوت) لأنه فهم ما يريدون عمله .. وإذا بـ (مونرو) يضع المظلة حول صدره ويربط حزامها قائلاً :

- « (آمى) ستكون بخير .. لقد حقنتها بالـ (ثورالين) المهدئ ، ولسوف أحتضنها جيدًا فى أثناء الهبوط .. »

ونظر (إليوت) إلى (آمى) فوجدها تغط ولعابها يسيل على كتف (مونرو) .. بينما هذا الأخير يجرها على الأرض جرًا ..

- « إن (البارافويل) الخاص بك يفتح تلقائيًا .. توجد حبال فى كلتا يديك .. حرك الحبال اليمنى تتحرك يمينًا .. حرك اليسرى تتحرك يسارًا .. و .... »

- « ولكن (آمى) ؟ »

- « أصغ لى ! لو حدث خطأ يمكنك استعمال الباراشوت الاحتياطى هنا على صدرك .. »

- وأشار إلى جهاز كتب على شاشته (٤٧٥٧) وقال :

- « ... هذا هو مقياس الارتفاع ومعدل السقوط .. وهو يفتح المظلة لو أنك هبطت إلى ٣٦٠٠ قدم وسرعتك ما زالت قدمين فى الثانية .. لا تقلق من شىء فالعملية كلها أوتوماتيكية .. »

كان (إليوت) يرتجف ذعرًا والعرق يغمره :

- « والهبوط ؟ »

- « الهبوط يتم تلقائيًا كذلك .. خذ الصدمة على قدميك .. ستشعر بأنك تثب من فوق سور ارتفاعه عشرة أقدام لا أكثر .. »

ورأى (إليوت) الباب المفتوح تلتمع وراءه الشمس .. وسرعان ما وثب رجال (كاهيجا) واحدًا بعد الآخر .. ثم جاء دور (روس) التى كانت شفتها السفلى ترتجف لكنها استجمعت شجاعتها ووثبت ..

- « دورك ! »

- « لكنى خائف ! »

- « يمكننى معاونتك .. »

قالها (مونرو) ودفع (إليوت) ليسقط خارج الطائرة ..

★ ★ ★

ما كانت وثبتهم وثبة فى الهواء فحسب .. بل وثبة فى الزمن .. وثبة فارقوا بها كل معانى الحضارة ليدخلوا عالمًا بدائيًا مرعبًا .. وكان (مونرو) يعرف كل هذا .. وفيما بعد قال :



ـ « يمكننى معاونتك ... »

قالها (مونروا) ودفع (إليوت) ليسقط خارج الطائرة ..

ـ « كانت مهمتى أن أقود هؤلاء القوم إلى (الكونغو) .. لا أن أخيفهم حتى الموت .. لهذا لم أخبرهم بما ينتظرهم .. فمازال الوقت كافيًا لهذا .. »

★ ★ ★

وهوى (إليوت) لأسفل خائفًا حتى الموت ..

وشعر بمحتويات معدته فى فمه ، والريح تصفر فى أذنيه .. والهواء بارد كالثلج .. وأغلق عينيه كى لا يرى الغابة تحته ..

لا شىء يحدث .. واضح أن (البارافويل) ـ أيًا كان معناه ـ لن ينفتح .. فحياته إذن تتوقف على المظلة الاحتياطية على صدره .. مد يده يتحسسها ثم أحجم .. فربما يعوق هذا انفتاحها .. وهو يعرف أن كثيرين ماتوا نتيجة لتلمس مظلاتهم فى أثناء الهبوط .. لا شىء يحدث ....

لا شىء يحدث .. وتقيأ من الرعب .. لكن رأسه كان لأسفل فلم يبلل القىء ثيابه .. وكانت رجفته غير معقولة ..

وفجأة انقلب وضعه ليستقيم بهزة تحطم العظام ..

وهنا أدرك أن المظلة فتحت .. وبدأ يرى السماء الزرقاء حوله .. لقد كان على ارتفاع آلاف الأقدام فوق الغابة ..

ونظر لأعلى فرأى (البارافويل) .. إنه شكل مستطيل عملاق به شرائط حمراء وزرقاء .. وعلامة يبدو كجناح طائرة تخرج منه الحبال .. ورأى الآخرين ..

حاول أن يعدهم فقدر أنهم ستة .. لكنه لا يستطيع التركيز على كل حال ..

إن شعورًا بالسلام والراحة يغمره ..

نظر لقدميه فرأى (كاهيجا) يلمس الأرض .. ثم رجل ثان فثالث .

بدأ يرى الأرض بدوره تندفع نحوه بسرعة .. لم يتصور أنه يهبط سريعًا هكذا .. أغمض عينيه .. وشعر بغصون الأشجار تخمش وجهه وجسده ..

ثم لم يحدث شيء ..

فتح عينيه فرأى أنه فوق الأرض بمسافة أربعة أقدام .. لقد اشتبك (البارافويل) بغصون الأشجار .. حرّر نفسه وهوى للأرض ..

ونهض على قدمين مطاطتين شاعرًا بنشاط غير عادي ..

وبعد دقيقة هبط (مونرو) مع (آمي) ، وأذنه تنزف دمًا حيث عضتها (آمي) في ذعرها .. لكن الغوريللا كانت بخير حال .. وراحت تركض على أربع نحو (إليوت) وهي تردد (آمي تطير لا تحب) ..

ونظروا لأعلى فرأوا الطائرة (الفوكر) تبتعد ، بينما مظلات تحمل معداتهم تهبط فيهرع رجال (كاهيجا) لاقتناصها ..

وخلال عشرين دقيقة تحركت الحملة .. لتبدأ رحلة مائتي ميل ستقودهم إلى بقاع (الكونغو الشرقية) التي لم يستكشفها أحد ..

إلى الجائزة الكبرى لمن يصل إليها قبل الآخرين ..

★ ★ ★

٢ـ كيجانى ..

ما إن انتهت صدمة الوثبة ، حتى راح (إليوت) يستمتع بالسير فى غابة (باراوانا) ..

كانت القردة تصرخ فوق الأشجار ، والطيور تغرّد ، بينما حمالو (الكيكويو) يدخنون ويتبادلون عبارات المزاح ..

شعر (إليوت) بالرضا وروح المغامرة .. وبدأ يلتذّ بملمس الأرض الندية تحت حذائه .. ويرمق (روس) فيجدها جميلة كما لم يرها من قبل .. شعرها الأشقر على كتفيها والعرق يبلل ظهرها لكنها جميلة ..

قال (مونرو) له :

ـ « استمتع بالغابة .. فهى آخر مرة تشعر فيها أنك بارد جاف ! »

لكن الغابة لم تكن عذراء تمامًا .. فمعالم الإنسان كانت موجودة .. لكن (مونرو) كان صامتًا .. وبدا أنهم كلما توغلوا أكثر كلما صار (مونرو) أقل استعدادًا للكلام ..

فقط كان يصغى لصياح القردة وغناء الطيور ..

★ ★ ★

عند منتصف النهار شعر (إليوت) بألم فى قدميه .. ويبدو أن الحمالين كذلك بدءوا يتعبون لأنهم كفوا عن المزاح ولاذوا بالصمت ..

سأل (إليوت) (مونرو) عم إذا كانوا سيتوقفون للطعام ، فقال هذا (لا) ..

نظرت (كارين) لساعتها وقالت :

ـ « ممتاز .. »

بعد الواحدة سمعوا صوت هليوكوبتر .. وعلى الفور انبطحوا وسط الحشائش إثر طلب (مونرو) .. واستطاع (إليوت) أن يرى طائرتين كبيرتين لونهما أخضر كتب عليهما (FZA) وهى الحروف الأولى من (سلاح الجو الزائيرى) .

وابتعدت الطائرتان .. فنهض الرجال .. وقال (مونرو) :

ـ « إن الجيش .. يبحث عن الـ (كيجانى) .. »

بعد ساعة وصلوا إلى فرجة بين الأشجار ، بها بيت خشبى يتصاعد الدخان من مدخنته .. وثمة ثياب

معلقة على الحبال لتجف .. تتطاير فى النسيم ..

رفع (مونرو) يده طالبًا الصمت ، ودعاهم للانبطاح وسط الحشائش دون كلام .. كان متوترًا .. ولم يفهم (إليوت) سببًا لذلك ..

ظلوا فترة لا بأس بها فى الموضع ذاته .. ورفعت (روس) رأسها لتقول شيئًا لكنه غطى فمها بيده .. وهمس :

- « (كيجانى) ! »

اتسعت عيناها .. وهى ترمق المنزل ..

ثم إن (مونرو) التفت إلى (إليوت) ، وأشار إلى (آمى) متسائلاً .. كان قلقًا بصدد صمتها ويريد التأكد من أنها لن تحدث جلبة ..

لكن (آمى) كانت متوترة فقد شعرت بجو القلق المخيم حولها .. ولاذت بالصمت هى الأخرى ..

وزحف (كاهيجا) إلى الوراء ليأخذ بندقية آلية من الحمالين ، فنزع عنها التأمين ثم عاد بها إلى (مونرو) .. وفى اللحظة ذاتها دوى صرير الباب .. ثم خرج الـ (كيجانى) من المنزل .. استطاع (إليوت) أن يعد اثنى عشر رجلاً قويًا يحملون الأقواس

والسهام ، وقد دهنوا وجوههم باللون الأبيض مما أعطاها انطباعًا مرعبًا كالجماجم .

وبعد رحيلهم ظلّ (مونرو) يرمق المنطقة عشر دقائق .. ثم نهض متنهدًا ..

سأله (إليوت) :

- « ماذا كانوا يفعلون ؟ »

- « يأكلون ! لقد قتلوا الأسرة فى هذا البيت وأكلوا أفرادها ! »

ظل (إليوت) يرمق البيت .. ويتساءل عما سيراه لو دخله ..

ولاحظ (مونرو) توتره فقال :

- « إن العادات القديمة تموت بصعوبة .. »

★ ★ ★

كانت هناك تقارير عن أكل لحوم البشر فى حرب (الكونغو) الأهلية عام ١٩٦٠ ، وقد هزت هذه التقارير العالم الغربى .. لكن هذا النشاط كان يمارس على نطاق واسع فى (إفريقيا) طيلة الوقت .

وفى عام ١٨٩٧ كتب (سيدنى هيند) : « إن كل القبائل فى (الكونغو) كانت أو مازالت تأكل لحوم

البشر .. » ولا يُمارس هذا من قبيل الطقوس الدينية أو الحرب أو السحر بل هو مجرد تفضيل غذائى ..

ويقول (هولمان بنتلى) على لسان أحد الأهالى :

« أنتم ـ معشر البيض ـ تأكلون الخراف والأبقار ، أما نحن فنأكل البشر .. لم لا ؟ ما الفارق ؟ »

وفى ١٩١٠ كتب (هربرت وورد) عن الأسواق التى يباع فيها العبيد قطعة قطعة وهم أحياء .. حيث يرسم كل مشتر على جسد العبد القطع التى يرغب فيها ..

ومن الغريب أن كل الدارسين وجدوا أكلة لحم البشر أشخاصًا ظرفاء يمكن أن تحبهم .. وهم ودودون جدًا يعبرون عن عواطفهم بوضوح ..

لقد كان الـ (كيجاتى) ثائرين لأن حكومة (زائير) تحاول إرغامهم على التحول من الصيد إلى الزراعة كأن هذا سهل .. وكانوا قومًا متخلفين يؤمنون بالسحر كثيرًا .. ويعتقدون أنهم ـ بأكل أعدائهم ـ سيستفيدون من القوى السحرية الموجودة فى أجساد هؤلاء ..

إنهم يأكلون البشر الآن على سبيل الاحتجاج ..

★ ★ ★

وأشار (مونرو) إلى بعيد .. إلى دخان حرائق يتصاعد فى الجو من بعيد .. وقال :

ـ « هذه قرى الـ (كيجاتى) .. ما كان بوسعهم الفرار خاصة أن قائدى الطائرات من قبيلة (أباوى) وهى عدوهم الطبيعى .. »

إن القرن العشرين لم يتحمل وجود الـ (كيجاتى) .. لذا صممت حكومة (زائير) على الخلاص منهم .. وأطلقت فى إثرهم جيشًا مسلحًا وست طائرات هليوكوبتر مسلحة بالصواريخ ، ولم يكن الجنرال (موجورو) يهتم بالأوهام بصدد مهمته .. كان يعرف أن (كينشاسا) ترغب فى الإبادة الكاملة للـ (كيجاتى) .. وهذا هو ما انتوى عمله ..

وعند نهاية اليوم ـ بعد ما عبروا الجسر الخشبى عند (موروتى) ـ أعلن (مونرو) أنهم قد تجاوزوا إقليم الـ (كيجاتى) .. وأنهم على الأقل الآن ـ آمنون .

★ ★ ★

٣ ـ معسكر موبوتى ..

كانت معدات (ERTS) المتطورة جداً قد تم تصميمها بالاتفاق مع وكالة (ناسا) الفضائية .. فمثلاً لم يكن معهم ماء .. إن الماء ثقيل جداً ويشكل ورطة فى الحملات ، لكن جهاز (ناسا) لإعادة تدوير ماء البول قد حلّ المشكلة .. وهو حلّ مقزز لكنه فعال ..

أما عن المعسكر فقد تم تصميم خيامه عام ١٩٧٧ ، وهى خيام هوائية تزن للواحدة ست أوقيات .. وكانت هناك أجهزة تكييف فى حجم علبة الحذاء ..

دار جدل عابر بين (مونرو) و(روس) ، حين دنت (آمى) من (إليوت) وأشارت له : (المرأة والرجل شعر ـ أنف يتشاجر) ..

وكانت (شعر ـ أنف) هى التسمية التى أطلقتها على (مونرو) .. وكانت (آمى) قد أحبت (مونرو) من اللحظة الأولى وهو شعور متبادل .. فبدلاً من أن يخافها أو يربّت على رأسها عاملها كأنثى .. وكان قد

رأى غوريللات كثيرة بما يكفى .. وحين ترفع ذراعيها لأعلى سرعان ما يفهم أنها راغبة فى الدغدغة .. ويدغدغها ..

راحت (روس) تعدّ وتوصل أجهزة الاتصال الإلكترونية ..

لقد تأخروا عشرين ساعة عن المنافسين بسبب غارة صواريخ (SAM) .. لكن الأخبار على الشاشة كانت مطمئنة ..

لقد تعطل المنافسون فى مطار (جوما) لأن طائرتهم ينبعث منها نشاط إشعاعى .. واتضح أنها لعبة من (ترافيس) يعطلهم بها ..

★ ★ ★

وجاء الغروب ..

وانحدرت الشمس الاستوائية نحو الغرب .. فبدا المعسكر كأنه طبق مجوهرات .. به طبق هوائى فضى وخمس خيام تلتمع فى الضوء ..

وبدأ الظلام ينتشر ليغطى غابة الأمطار ..

★ ★ ★

اليوم ٦ : ليكو
١٨ يونيو ١٩٧٩

١ ـ غابة الأمطار ..

لم يكن (إليوت) قد رأى من قبل غابة أمطار .. وقد أصابه الذهول حين رأى حجمها الهائل وجذوعها التى يبلغ اتساعها اتساع بيت ..

إن الحركة تحتها تشبه المشى فى كاتدرائية مظلمة .. الأشجار هائلة لكنها أقل كثافة مما تصوّر ..

الصمت كامل .. ولا أثر للعطن أو التحلل العضوى كما توقع .. إن الهواء نقى تمامًا لكنه حارّ جدًا .. والعرق يتخلل أعصابك ذاتها ..

وبدأ (إليوت) يشعر بعدم راحة .. وراح يتمنى لو فارق هذا المكان ..

تغير سلوك (آمى) كذلك .. فراحت تبتعد عنهم أو تسبقهم .. أو تجلس فى مكان وترفض اللحاق بهم .. وثمة تعبير خامل على وجهها ..

قالت (روس) فى عصبية :

ـ « ما معنى هذا بحق الجحيم ؟ »

ـ « لقد صارت (غوريللا) من جديد .. ولم تعد

تهتم بى .. إنها فى عالم يمكنها أن تجد فيه الطعام والأمان والمأوى بدونى .. »

قال (مونرو) ملخصًا للموقف :

ـ « لقد انتهت ساعات المدرسة .. »

ثم جذب (إليوت) من ذراعه قائلاً :

ـ « الحل الوحيد هو أن تتركها ! سر معنا وانسها .. »

ـ « لكنها لن تتبعنا .. »

ـ « هلم يا بروفسور .. كنت أظن أنك تعرف عن الغوريلات .. أنها حيوانات اجتماعية لا تتحمل الوحدة .. ولن تطيق الابتعاد عنا ما دامت لا توجد غوريلا أخرى .. نحن عشيرتها وهى لن تتركنا .. »

وكما توقع .. سرعان ما لحقت (آمى) بهم وهى تهشم الأعشاب ..

وبعدها لم تتخل عن (إليوت) ثانية ..

كان حمالو (الكيكيويو) يقضون الوقت فى المزاح والصياح .. فقالت (روس) :

ـ « إنهم قوم سعداء .. »

فقال (مونرو) :

ـ « لا يا دكتورة .. إنهم ينذرون .. ينذرون الفهود والـ (تيمبو) .. الأفيال .. »

واستمرت المسيرة ..

وفجأة دوى صوت الرعد ..

وانهمرت قطرات المطر .. قطرات كبيرة ثقيلة تؤلم عند الاصطدام بك .. واستمر ذلك لمدة ساعة ثم توقف فجأة .. وقد صاروا مبتلين تماماً ..

جلس الرجال يشوون اللحم المقدد على النار ، على حين انهمك (مونرو) فى حرق العلقات الملتصقة بأرجل (روس) و (إليوت) بأطراف السجائر المشتعلة .. وكانت العلقات منتفخة بالدم .. ويجب حرقها لأن انتزاعها يبقى رأسها داخل اللحم مما يسبب العدوى ..

وجلسوا يأكلون فى صمت ..

★ ★ ★

٢ - راجورا ..

كان الطريق يقودهم غربيًا إلى نهر (راجورا) .. وقد أقلق هذا (مونرو) فسأله (إليوت) :

- « ما الخطر مع نهر (راجورا) ؟ »

- « ربما لا خطر . يتوقف الأمر على مستوى الأمطار في الفترة الماضية .. »

نظرت (روس) إلى ساعتها وقالت :

- « لقد تأخرنا .. وعلينا الملاحة في النهر ليلاً .. »

ولم تكن قد سمعت عن حملة ليلية في النهر لهذا أثار دهشتها أن (مونرو) قبل :

- « سأفعل ذلك .. لأن العقبات أسفل النهر ستكون أقل ليلاً .. »

- « وما هي العقبات ؟ »

- « سنتكلم عن هذا فيما بعد .. »

★ ★ ★

وقبل وصولهم (راجورا) بميل سمعوا هدير النهر .. أصاب هذا (آمي) بالقلق فراحت تشير (أي ماء ؟) .. حاول (إليوت) تهدئتها لكنه لم يقدر ..

كان الصوت آتيًا من سدود عالية فوق المجرى .. وكان لون المياه موحلاً لكنه لا يبدو خطيرًا ..

إلا أن (مونرو) كان يعرف نهر (الكونغو) .. رابع أكبر أنهار العالم بعد النيل والأمازون واليانجتسي .. وهو نهر فريد في نوعه ، يتلوى كالأفعى ويعبر خط الاستواء مرتين .. مرة يتجه شمالاً نحو (كيزانجاني) ثم يتجه جنوبًا نحو (موبانداكا) .. وبسبب هذه الظاهرة الغريبة كانت هناك دومًا أمطار في مكان ما من مجراه ، ولم يكن خاضعًا للتغيرات الموسمية المميزة للأنهار الأخرى مثل النيل .. ويصب مليون ونصف قدم مكعب من الماء كل ثانية في الأطلنطي ..

وكان هذا المجرى يجعل نهر (الكونغو) أصعب الأنهار للملاحة .. و(راجورا) هو أحد فروع النهر قرب (كيزانجاني) ، وتسميه القبائل باسم (بارنتولاني) ومعناها (الطريق المخادع) لأنه كثير التغير .. إما أن يكون بركة هادئة للنزهة وإما جحيمًا يغلي ..

راحت (آمي) ترقب في ذعر عملية نفخ الأطواف الـ (زودياك) .. والآن يدفع رجال (كاهيجا) القوارب إلى حافة الماء ..

أشارت له متسائلة : (من يركب ؟) ..

- « كلنا يركب .. »

ولسوء الحظ كان الجميع متوترين .. وكانت (آمى) حساسة جدًا لمزاج من حولها .. والقلق يصيبها بالعدوى سريعًا ..

راحت تشير بما معناه : « هم يرحلون (آمى) تبقى (بيتر) يبقى (آمى) » ..

عبأ محقنًا بالـ (ثورالين) واستعد كى يحقنها ..

هنا رسمت اسمه ثم كورت قبضتها تحت ذقنها .. وهى سبة بذيئة جدًا عند القرود العليا بمعنى (قاذورات البطن) . وكانت (آمى) تعنى بهذا : (بيتر) قذر .. من الغريب أن القردة العليا عرفت أن ربط الإنسان بإفرازات الجسد لهو نوع من السباب ..

وراحت تردد (بيتر لا يحب آمى) ..

أفرغ الدواء المهدئ فى صدرها .. فزاغت عيناها .. وللمرة الأخيرة أشارت : (بيتر) لا يحب (آمى) .. ثم تصاعد غطيطها ..

قال لها : آسف .. وأمسكها كى لا تهوى على الأرض ..

★ ★ ★

تقدم طوفان يحوى كل منهما ستة أشخاص .. الأول به (مونرو) والثانى به (روس) و (إليوت) و (آمى) و (كاهيجا) ..

فى البدء لم تكن هناك متاعب .. الرحلة هادئة والغابة تتحرك ببطء حول جانبى القارب .. حتى إن (روس) راحت تداعب الماء بأناملها .. لكن (كاهيجا) نصحها ألا تفعل .. وقال :

- « حيث يوجد ماء يوجد (مامبا) .. »

وأشار إلى الضفاف حيث كانت التماسيح ترقد فى كسل .. تتثاءب من حين لآخر كاشفة عن فكوك عملاقة .. لكن بدا أنها لا تعير القارب اهتمامًا..

تساءل (إليوت) فى خيبة أمل :

- « ألن تضايقنا ؟ »

- « حار جدًا .. » ـ قال (كاهيجا) : « الـ (مامبا) تنام فى الحرّ ، ولا تأكل إلا حين يبرد الجو .. »

مرّ النهر بمنحنى .. وبدأ الماء يهدر .. إذا بالقارب يسرع أكثر .. ثم راحت المياه تغلى وتتناثر فى وجوههم .. وقارب (مونرو) فى المقدمة يميل لكنه لاينقلب .. الطوف يعلو ويهبط .. القارب الأمامى

يختفى ويظهر .. بينما (روس) تكرر دون هوادة :

- « آه يا رب ! آه يا رب ! »

الماء يصل إلى الجلود .. وسحب البعوض السوداء تلدغهم بوحشية .. من الغريب أن يكون هناك بعوض هنا لكن هذا ما حدث ..

وفجأة اتسع النهر .. ومن جديد ساد السلام وعادوا يتحركون ببطء ..

استلقى (إليوت) فى القارب منهكًا وقال :

- « قد قطعناها ! »

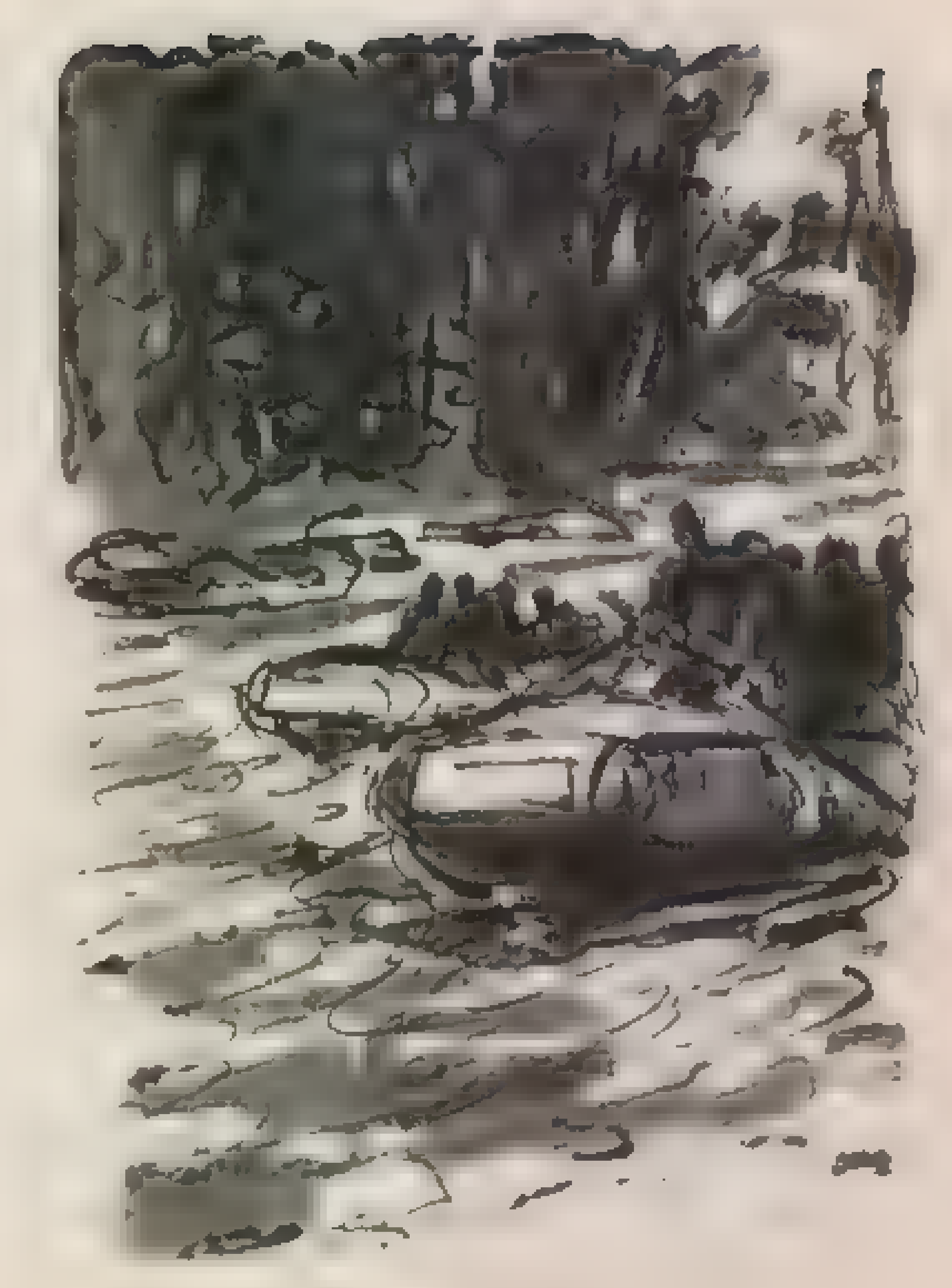
قال (كاهيجا) :

- « حتى الآن .. لكننا - نحن (الكيوكيو) - نقول : لا أحد يخرج من الحياة حيًا .. إنها راحة لا استرخاء يا دكتور .. »

فك (إليوت) قميصه المبتل واستبدل به آخر .. وغطى (آمى) للنائمة كى لا تبرد .. وكانت الشمس قد غربت وبدأ الظلام ..

وقف (كاهيجا) ليقوم بتعبئة البندقية بطلقات علاقة ..

فسأله (إليوت) :



تقدّم طوفان يحمل كل منهما ستة أشخاص ..

- « لم هذه الطلقات ؟ »

- « من أجل الـ (كييوكو) .. لا أعرف الكلمة بالإنجليزية .. » ـ ثم نظر إلى الأمام يسأل (مونرو) بصوت عال ـ « .. مزى ! مينى متاكييوكو ؟ »

صاح (مونرو) من طوف المقدمة :

- « فرس النهر ! »

★ ★ ★

كان القرن العشرون قد غير مفاهيم كثيرة عن الحياة البرية .. فمثلاً كان العلماء يرون (مشهد الفجر) الذى يمثل الأسد ملك الغابة يلتهم فريسته ، بينما الضباع الدنيئة تنتظر الظفر بقطعة لحم .. فلما تطورت أساليب الرؤية الليلية أدرك العلماء أن الضباع هى التى استطاعت بنظام وبسالة اصطياد الفريسة .. ثم جاء الأسد الكسول ليأخذها منهم جاهزة .. وهذا هو ما نراه نحن فى (مشهد الفجر) هذا ..

إلا أن فرس النهر ظل لغزًا .. لأنه يغطس فى الماء أكثر الوقت .. لكن الذكر يملك حريمًا من عدة إناث ، يعيش معهم فى مجاميع من عشرة حيوانات .. وبرغم بدانته فهو شرس جدًا وهجمته سريعة جدًا ..

وأسنانه حادة كالموس . وصراع ذكرى فرس النهر يعنى موت أحدهما دائمًا ..

وفى (إفريقيا) يعتبر فرس النهر مسئولاً عن موت نصف من يدنون من الماء .. فهو يكون خطرًا جدًا على اليابسة .. ومن يجد نفسه بين فرس النهر والماء لا يعيش غالبًا كى يحكى التجربة ..

لكنه حيوان مهم للبيئة النهرية .. وبرازه ـ وكمياته هائلة ـ يسمد الأعشاب التى تأكل منها الأسماك وسواها .. وفى الأماكن التى لم يعد يعيش فيها تموت الأنهار ..

النقطة الأخرى المهمة هنا هى أن ذكر (سيد قشطة) يدافع بشراسة عن نهره ضد المعتدين .. وهؤلاء المعتدون يتضمنون التماسيح والقوارب بمن عليها من ناس ..

★ ★ ★

اليوم ٧ : موكنكو
١٩ يونيو ١٩٧٩

١ ـ كيبوكو

كان هدف (مونرو) من مواصلة السفر ليلاً مزدوجًا .. فقد أراد أولاً : أن يحقق سبقًا فى الوقت لأن كل خطط الكمبيوتر لم تضع الرحلة الليلية فى الحسبان .. وبهذا قد يكسب ستين ميلاً فى ساعات المساء ..

أراد ثانيًا : أن يتجنب أفراس النهر فى (راجورا) .. فهذه الوحوش تخرج إلى الضفة ليلاً لتأكل .. وهذا معناه أن يكون النهر مأمونًا ..

كانت خطة بارعة لكنها لم تضع فى الحسبان سرعة النهر .. وبالتالى وصلوا فى التاسعة مساء ـ وهو وقت مبكر جدًا ـ إلى منطقة أفراس النهر ..

هكذا كان لا بد لها من أن تهاجمهم ..

دار النهر منحنيين .. وأشار (كاهيجا) إلى الضفاف حيث كانت الحشائش مقطوعة بنظام شديد كأنما بنصل موس .. وقال :

ـ « حالاً ! »

ودوّى صوت يقول : هاوو .. آه .. آه ! كأنما رجل

عجوز ينظف حلقه من البلغم .. وتجاوبت معه أصوات أخرى .. فغرس (كاهيجا) فى الماء مجدافه ثم رفعه ونظر .. لم يجد سوى ثلاثة أقدام مبتلة .. إن الماء ضحل وهذا مقلق ..

ورأى (إليوت) نصف دستة من الصخور السوداء مغمورة تحت المياه .. عندها ارتفعت صخرة منها ورأى مخلوقًا عملاقًا يرفع رأسه ويدنو من طوف (مونرو) ..

أطلق (مونرو) طلقة من (المغنسيوم) نحو الحيوان .. وفى الضوء الأبيض رأى (إليوت) الفم العملاق مفتوحًا .. وأربعة أسنان هائلة الحجم .. ثم غاب الوحش فى سحابة من الدخان الأصفر ..

قالت (روس) :

ـ « غازات مسيلة للدموع .. »

وغاص ذكر فرس النهر واختفى ، ودخل طوف (كاهيجا) وسط السحابة ، فاحمرت عيونهم وحرقتهم أنوفهم ..

ـ « ربما استسلم .. »

واستمرت مسيرتهم فى صمت ..

وفجأة اهتزت مقدمة القارب .. وزأر الوحش وصرخت (روس) ..

تراجع (كاهيجا) وأطلق طلقة فى الهواء .. ومال الطوف بشدة ..

ورأى (إليوت) أسنان فرس النهر على جانب الطوف .. وبدأ الهواء يخرج محدثًا هسيسًا ..

طلقة أخرى تراجع بعدها فرس النهر ..

وكان جانب الطوف الأيمن قد تداعى تمامًا .. وعرف (إليوت) أنهم سيغرقون خلال دقيقة .. لكن القارب دار حول منحنى آخر ..

وابتعدوا عن الوحش بمسافة معقولة .. لكن الطوف كان قد تهاوى تمامًا .. وراحوا يجذبون ما تبقى منه إلى الضفة ..

وتوقف (مونرو) يرمق المشهد فى ضوء القمر .. وأعلن أنهم سينفخون طوفًا آخر .. وهكذا جلسوا على الضفة يحاربون البعوض ويلتقطون أنفاسهم ..

★ ★ ★

دوّى صوت القذائف الـ (أرض ـ جو) محدثة انفجارات فى السماء فوقهم .. ومع كل طلقة يلتمع

النهر بلون أحمر .. ثم ترتسم ظلال طويلة .. بعدها يعود الظلام ..

أشارت (امى) إلى (إليوت) مرددة : (طائر يأتى) ..

سأل (مونرو) بعد ما عرف معنى إشاراتها :

ـ « هل تعتقد أنها تسمع صوت طائرة ؟ »

ـ « إن سمعها حاد للغاية .. »

عندئذ ظهرت طائرة فى السماء ، تشق طريقها بين الانفجارات الحمراء ..

وقال (مونرو) وهو يتفحصها بمنظاره :

ـ « إنها طائرة نقل طراز (س ـ ١٣٠) عليها كتابة باليابانية .. إنها تحمل المؤن إلى المنافسين .. ويبدو أنها لن تستطيع .. »

شعر (إليوت) بالشفقة على ركاب الطائرة .. لابد أنهم يصرخون باليابانية وهم يرون كرات النار حولهم .. أتراهم يتمنون لو لم يجيئوا هاهنا قط ؟

بعد دقيقة انحدرت الطائرة نحو الشمال واختفت ..

ـ « ربما استطاعوا الفرار من مدفعية (موجورو) .. »

ثم إن (مونرو) دعاهم إلى مواصلة التحرك ..

★ ★ ★

٢ ـ موكنكو ..

لم يكن تسلق جبل (موكنكو) عسيرًا .. لكن كثافة الهواء كانت قليلة ، وقد أرهقهم هذا فجلسوا يلتقطون أنفاسهم ..

صاح (مونرو) :

ـ « ماذا تتوقعون ؟ إنه جبل وكل الجبال عالية .. »

ـ ونظر إلى (روس) المنهكة وصاح : « وماذا عن جدولك الزمنى ؟ نحن لم نبدأ الصعاب بعد .. استريحى الآن ولن نصل للقمة قبل الليل .. وهكذا يضيع يوم كامل .. »

ـ « لم أعد أهتم .. »

قال فى سخرية :

ـ « هكذا النساء ! »

وقابل نظرتها الحادة بابتسامة .. كان واجبه أن يهينهم .. يجعلهم يكرهونه .. فهذا سيحمسهم ويدفعهم إلى التقدم ..

صاروا على ارتفاع عشرة آلاف قدم .. واختفت

النباتات ، وبدءوا يشمون أبخرة البركان الكبريتية قادمة من قمة (موكنكو) .. وبدأ أصعب جزء من الرحلة خاصة بالنسبة لـ (آمى) التى تمشى حافية القدمين فوق صخور حادة ..

وبدأت (روس) تعد عدتها للاتصال الليلى بـ (هوستون) ..

كانت الأخبار سيئة .. فعلى الشاشة قرءوا :

- « المجموعة المنافسة فى مدينة الزنج الآن .. لا مزيد من المخاطرات .. الوضع ميئوس منه .. »

هتفت (روس) :

- « لا أصدق هذا .. لقد انتهى الأمر .. »

وقال (إليوت) :

- « أنا منهك .. »

كان التعب قد حل بهم جميعًا لذا غرقوا فى سبات عميق ..

★ ★ ★

اليوم ٨ : كانياماجوفا
٢٠ يونيو ١٩٧٩

١ ـ الهبوط ..

نام الجميع حتى الصباح .. وتناولوا الإفطار دون عجلة .. وجلسوا فى الشمس يلعبون مع (آمى) التى سرّت لهذا الاهتمام غير المعتاد ..

وفى العاشرة صباحًا بدءوا الهبوط من فوق جبل (موكنكو) إلى الغابة ..

كانت الصخور ساخنة جدًا بالنسبة لـ (آمى) ، لذا قام (آسارى) ـ أقوى الحمالين ـ بحملها على كتفه ..

كانت (آمى) خائفة لسبب ما .. وقد توترت عضلاتها حول عنق الرجل .. لكنهم واصلوا الهبوط ...

★ ★ ★

عادوا إلى ظلمات غابة الأمطار ..

وعند منتصف النهار وجدوا الفضلات ثلاثية الفصوص المميزة لبراز الغوريلا .. وكانت هناك أعشاش غوريلا فى كل مكان ..

وبعد خمس عشرة دقيقة دوّى صوت زئير يصم الآذان .. فقال (مونرو) :

ـ « غوريلا .. إنه ذكر ينذرنا من مغبة التقدم .. »

أشارت (آمى) لـ (إليوت) : (غوريلا لا تريد بشر يدنون) ..

قال لها (إليوت) :

ـ « لا تخافى يا (آمى) .. فنحن لن نؤذى الغوريلا .. »

نظرت له فى حيرة كلما أساء فهم مقصدها .. وفيما بعد أدرك (إليوت) أنه أساء الفهم حقًا .. لم تكن (آمى) خائفة من أن يؤذى البشر الغوريلا .. بل خائفة من أن تؤذى الغوريلا البشر ..

تقدموا إلى مكان خال من الأشجار .. وهنا ظهر ذكر غوريلا فضىّ الظهر وزأر فى اتجاههم .. وكان (إليوت) فى المقدمة حين رأى المشهد ..

كان الذكر الحاكم ضخمًا ورأسه يعلو الأرض بستة أقدام .. وكان غاضبًا جدًا .. وسمع (روس) تقول من ورائه :

ـ « ماذا نفعل ؟ »

ـ « ابقى خلفى ولا تتحركى .. »

مشى الذكر على أربع نحوهم وهو يصدر صوتًا

(هو ـ هو !) يتزايد تدريجيًا .. ثم راح ينزع العشب ويضرب صدره بقبضته محدثًا صوتًا رنانًا ..

وهتفت (روس) :

ـ « آه لا ! »

وهنا انقض الذكر ..

راح يجرى بسرعة مذهلة نحوهم وهو يزأر .

لكن (إليوت) ظل ثابتًا ينظر إلى قدميه .. كان يتمنى أن يجرى .. كل غرائزه تنصحه بالجرى .. لكنه أرغم نفسه على الثبات .. وشعر بالجسم العملاق يدنو منه ..

من يدرى ؟ ربما كانت كتب علم الحيوان خاطئة .. إن الذكر يدنو مسرعًا نحو قتل سهل .. هدف أحمق .. صدق ما يقرؤه فى المراجع العلمية ..

هنا ساد الصمت .. لا بد أن الغوريللا كانت دانية جدًا .. لأن (إليوت) رأى ظلها على قدميه .. بعد دقائق ابتعد الظلّ ..

هنا رفع رأسه ورأى ذكر الغوريللا يبتعد ويحكّ رأسه .. كأنما يتساءل عن السبب الذى لم يفزع معه هذا العرض (إليوت) ..

وهنا تهاوت (روس) فاقدة الوعى ..

قال (مونرو) حين لحق بهما :

ـ « أحسنت صنعًا .. يبدو أنك تعرف شيئًا أو اثنين عن الغوريللا .. فهى لا تبدأ فى مهاجمتك إلا حين تفرّ أنت .. عندها تركض وراءك وتعض مؤخرتك وهم يعتبرون هذه علامة على الجبن ها هنا .. »

كانت (روس) تنهنه بالبكاء .. بينما قدما (إليوت) تهتزان ..

لكنه تذكر فى رضا أن الغوريللا قامت بكل ما وصفته المراجع ..

* * *

٢ ـ المنافسـون ..

بعد ساعة وجدوا حطام الطائرة س ـ ١٣٠ ، وقد غاص نصفها في وحل الغابة ومقدمتها مهشمة ، وبدت لهم أكبر طائرة شحن في حجمها الطبيعي ..

وخلف زجاج النافذة الأمامية رأوا جسد الطيار وقد غطاه الذباب الأسود ولم يستطيعوا دخول الطائرة لأنها كانت عالية ..

تسلق (كاهيجا) إلى الجناح الأيمن .. ثم فتح الباب ودخل .. وصاح بهم من النافذة :

ـ « لا أفراد .. يوجد كثير من الصناديق والمعدات .. »

إذن هذه هي الطائرة التي رأوها وسط القذائف ليلاً .. لكن معنى هذا أن ستًا وثلاثين ساعة مضت منذ سقوطها .. فأين المنافسون ؟ ولماذا لم يظهروا بعد ؟ إن الصناديق لم تمسّ ..

★ ★ ★

كان معسكر المنافسين وسط الخرائب ...

الخيام ممزقة والذباب يغطي الأجساد .. ورائحة العفن تزكم الأنوف ..

وأزيز الحشرات رتيب غاضب ..

ابتعد الجميع اشمئزازًا ، لكن (مونرو) تمالك نفسه وعبر نطاق الحماية حول المعسكر .. وعلى الفور بدأت الخلايا الكهروضونية تصدر إشارة صارخة عالية ..

غطى الجميع آذانهم .. لكن (مونرو) لم يبد متضايقًا .. ودنا من إحدى الجثث وأبعد الذباب عن الوجه ليتفحصه ..

بعد دقائق لحقت به (روس) لأنها أرادت دراسة دفاعاتهم الإليكترونية .. وعبرت النطاق بدورها .. ثم تبعها (كاهيجا) ليرى ما إذا كانت هناك أسلحة ..

عالجت (روس) صندوقًا أسود في المركز فقطعت سلكًا .. وسرعان ما كفت الصفارة ...

سأل (إليوت) (آمي) :

ـ « ماذا حدث ها هنا ؟ »

أشارت له : (أشياء تأتي .. أشياء سيئة) ..



سأل (إليوت) (امى) :

ـ « ماذا حدث ها هنا ؟»

وسمع صوت (روس) تنادى :

ـ « هل وجد أحدكم قائد الحملة ؟ »

فصاح (مونرو) :

ـ « (مينارد) ؟ »

ـ « إنه ذو سمعة طيبة فهو يعرف الكونغو .. »

قالتها وهى تشق طريقها وسط الجثث ـ « لكنه لم يكن جيدًا بما يكفى .. »

كان (مونرو) يحمل (جركن) سعة عشرين لترًا ويلوح به :

ـ « (كاهيجا) .. فلننه هذا ! »

راح الرجال يسكبون (الكيروسين) فوق الخيام والأجساد .. وأطلقوا طلقة مشتعلة فالتهبت الجثث وتصاعد الدخان إلى السماء ...

سأل (مونرو) (إليوت) :

ـ « ما رأى الغوريللا فى هذا ؟ »

ـ « لا تريد الكلام بصراحة .. »

ـ « أتمنى أن تخبرنا .. فكل هؤلاء ماتوا بطريقة واحدة .. لقد تهشمت جماجمهم .. »

★ ★ ★

تحركت الحملة مبتعدة وقد سادها الصمت ..
همست (روس) لـ (إليوت) :
ـ « كان لديهم نظام دفاعي جيد يشبه نظامنا المسمى ADP (نطاق الدفاع ضد الحيوانات) .. إنها ترسل صوتًا حادًا يؤذى الجهاز السمعى للوحوش .. ويمكنه أن يجعل فهدًا يفرّ إلى الجبال .. »
ـ « وماذا عن الجهاز السمعى للإنسان ؟ »
ـ « إنه يضايقه فحسب . وكما رأيت هو لم يضايق (آمى) إلا قليلاً .. »
ـ « وهل يمكننا عمل نطاق دفاعى أفضل من نطاقهم ؟ »
ـ « طبعًا نستطيع .. إن نطاقنا يمنع كل شيء عدا الخراتيت والأفيال .. »
وعند العصر وصلوا إلى مكان معسكر ERTS السابق .
لم يبق كثير سوى خيام ممزقة وهوائى محطم ..
لقد غطت النباتات كل شيء ...
ومن تحتهم فى الظلام رأوا معالم مدينة الزنج المحطمة ....
وهنا نظر (بيتر) إلى (آمى) فلم يجدها جواره ...
★ ★ ★

٣ ـ نظام (ويرد) ..

لم يستطع تصديق ما حدث ..
راحوا لنصف ساعة يفتشون عنها فى الدغل .. ونادوها دون استجابة ..
أصابه الهلع .. فقال (مونرو) :
ـ « ربما لحقت بالغوريلات الأخريات .. إنها فى السابعة من عمرها .. وهى بالغة .. وعشائر الغوريلا مفتوحة تقبل الغرباء دائمًا .. »
وكان (إليوت) يعرف أن هذا ممكن جدًا .. كل من ربى قردًا يجد نفسه فى لحظة يتعذر معها إبقاؤه معه .. إذ يغدو الحيوان قويًا جدًا ولا يمكن السيطرة عليه .. ويصعب إلباسه (الحفضة) والتظاهر بأنه طفل ظريف ..
لكن ما الذى تعرفه (آمى) عن الغابة ؟! لقد تربت فى العالم الغربى ومعلوماتها عن الغابة مثل معلومات (إليوت) نفسه ..
قالت (روس) وهى تنظر إلى ساعتها :
ـ « ستعود إذا رغبت فى ذلك .. قبل كل شيء لم نتخل عنها .. هى التى تخلت عنا .. »

تناولوا عشاء كئيبًا صامتًا .. وبعده بدأت (روس) تعد نظام الدفاع المعروف باسم (ويرد) .. وهي الحروف الأولى من (الاستجابة للمعتدين في الحياة البرية) ..

كان نطاق الدفاع أسلوبًا تقليديًا في تاريخ الكونغو .. وقد لاحظ (ستانلي) منذ مائة عام أنه (ما من معسكر يعتبر كاملاً ما لم تتم إحاطته بالأشجار) .. ولم يتغير هذا المفهوم حتى اليوم .. لكن مفاهيم الدفاع تغيرت ..

كانت هناك كشافات للأشعة تحت الحمراء . وشبكة خفيفة أقرب إلى الخيوط منها إلى السلك .. وعند حدوث تماس تسرى كهرباء قدرها عشرة آلاف فولت في السلك ، ولتقليل العبء على البطاريات كان هذا يحدث أربع مرات في الثانية ..

وقام (مونرو) بتقسيم فترات الحراسة إلى كل أربع ساعات ..

بدأ (إليوت) الحراسة واضعًا منظار الرؤية الليلية .. كان ثقيلاً يعطي الموجودات ضوءًا أخضر شبحيًا .. انتزعه عن عينيه فأثار هلعه أن يجد الغابة مظلمة سوداء كالحبر .. أعاد المنظار إلى عينيه مذعورًا ..

ومرت الليلة دون حوادث ..

★ ★ ★



اليوم ٩ : الزنج
٢١ يونيو ١٩٧٩

١ـ ذيل النمر ..

دخلوا المدينة فى صباح ٢١ يونيو ..

وكان عليهم رسم خارطة للمدينة خلال ست ساعات ؛ يحاولون منها استنتاج أماكن المناجم من ترتيب المبانى ..

وكانوا يستطيعون توزيع أنفسهم على أركان المدينة الأربعة ، ويقومون بإرسال أشعاعات الليزر لمسح المدينة .. ويعيد الكمبيوتر تشكيل الصورة ..

لكن المدينة كانت كبيرة تغطى مساحة ثلاثة كيلومترات ، ولم يكن من المستحب أن يتفرقوا بعدما رأوا ما أصاب المتنافسين .

الطريقة البديلة التى اتبعوها هى طريقة (ذيل النمر) .. وتقضى بأن أسهل وسيلة للعثور على النمر هى أن تمشى حتى تدوس على ذيله ..

مشوا بين الخرائب متباعدين .. كانت العناكب فى كل مكان .. وكل الأبواب والنوافذ على شكل أهلة .. والمبانى متماثلة الحجم والشكل ..

بدءوا يطلقون أسماء اعتباطية على المبانى لتمييزها .. فهذا المبنى أسموه (مكتب البريد) .. وذاك المبنى أسموه (السجن) .. وساحة واسعة أطلقوا عليها اسم (الجيمنزيوم) ..

كان الطحلب الأسود يغطى الجدران .. لكن (مونرو) أدرك أنه يغطى رسومًا جدارية ملونة .. وشعر بالأسف لأنهم لم يجلبوا معهم خبيرًا فى تاريخ الفن .. وابتكرت (روس) طريقة لفحص الرسوم بالأشعة تحت الحمراء ، ثم تصورها بالفيديو وترسلها إلى (هيوستون) حيث يقوم الكمبيوتر بإعادة تشكيلها ، ويرسلها لهم ثانية .. ليروا الصور التى على بعد متر منهم !

من الغريب أنهم لا يرون الجدار الذى أمامهم ، إلا عن طريق سفر الصورة عشرين ألف ميل وعبر القمر الصناعى .. ونكر هذا (إليوت) بمنظار الرؤية الليلية .. وقد وصف (إليوت) النظام فيما بعد بأنه (أطول حبل شوكى فى الكون) ..

ومن دراسة الصور استطاعوا معرفة الكثير عن المدينة ..

كان السكان القدامى سودًا فارعى الطول يرتدون

جلابيب ملونة طويلة .. ومن الواضح أنهم هجروا المدينة وهى سليمة .. فلماذا ؟

قالت (روس) :

- « ربما أجدبت المناجم .. وصارت المدينة مدينة أشباح .. هذا يحدث فى كل المدن التى تم إنشاؤها حول مناجم .. »

أما (إليوت) فاعتقد أن الطاعون هو السبب ..

واقترح (مونرو) أن الغوريلات هى السبب .. فالمنطقة بركانية بها زلازل وحرائق ، وهذا يجعل الحيوانات تتصرف بطريقة غريبة .. وحكى لهم عن قردة (البابون) التى تهاجم المزارع والحافلات فى المناطق التى تندلع فيها الحروب الأهلية ..

★ ★ ★

كانت ليلة ٢١ يونيو هادئة فى البداية ..

لكنهم شعروا بحركة غير عادية فى الأشجار المحيطة بالمعسكر .. وسمعوا صوتًا يتنهد .. وما يشبه الأزيز ..

وتذكر (إليوت) هذا الصوت وشعر برجفة .. وكان الجميع متوترين قلقين ..

وعند منتصف الليل أصدر النطاق الدفاعى شرارة كهربية ، فتوتر (مونرو) وصوب بندقيته نحو مصدر الصوت .. وضغطت (روس) زر الأشعة تحت الحمراء فغمر الضوء المعسكر ..

قال (مونرو) :

- « هل رأيتم ؟ هل رأيتم ماذا كان ؟ »

هزوا رءوسهم .. فلم يسمع أحد شيئًا ....

ومرت الليلة دون أحداث ....

★ ★ ★

اليوم ١٠ : الزنج
٢٢ يونيو ١٩٧٩

١ ـ العودة ..

كان صباح ٢٢ يونيو ضبابيًا كئيبًا ..

وفى السادسة صباحًا صحا (إليوت) ليجد المعسكر نشطًا .. وكان (مونرو) يروح هنا وهناك وقميصه مبلل بالعرق ..

وأشار لـ (إليوت) إلى أثر قدم مطبوع على الأرض .. كانت المسافة كبيرة بين الأصبع الإبهام وبقية الأصابع كما فى أصابع يد الإنسان .. وقال له :

ـ « بالتأكيد هى غوريللا .. هل ترى هذه ؟ إنها آثار رءوس الأصابع حين تمشى على يديها .. »

ـ « لكن الغوريللا حيوان خجول ينام ليلاً ، ولا يحتك بالبشر .. »

ـ « قل هذا للغوريللا التى تركت هذا الأثر .. »

وفقد (إليوت) صبره فقال شيئًا عن الخرافات التى يحكيها الصيادون البيض حول النار .. وقال (مونرو) شيئًا غير لطيف عن الناس الذين يعرفون كل شىء من الكتب .. عندها بدأت القردة تصرخ فوق رءوسهم ..

★ ★ ★

وجدوا جسد (مالاوى) خارج المعسكر ..

كان قد ذهب ليملأ دلوًا بالماء عندما قُتل .. وكان وجهه مشوهًا وجمجمته مهشمة وفمه فاغرًا .. واستدارت (روس) مشيحة بنظرها شاعرة بالغثيان .. على حين راح الحمالون يتشاجرون مع (كاهيجا) ..

وتقدم (كاهيجا) منتصب الظهر من (مونرو) وقال :

- « يا ريس .. الآن نعود ! »

قال (مونرو) :

- « لا .. »

- « يجب أن نعود .. أحد إخواننا قُتل وعلينا تقديم العزاء لامرأته وأطفاله .. »

وقف الرجلان يتحدثان بصوت خفيض لبضع دقائق ..

بعد دقائق أخرى عاد (كاهيجا) ليتكلم مع الرجال بالسواحلية .. ثم قال :

- « نحن باقون يا ريس .. »

- « حسن .. »

قالها (مونرو) وقد استعاد صوته الواثق ..

★ ★ ★

بعد ما فرغ (إليوت) من فحص الجثة اتجه إلى النهر ليغسل يديه ..

كان عاجزًا عن تفسير سلوك عدوانى لبلى من الغوريلا .. لكن ربما كان هذا خطأ فادحًا آخر من أخطاء علماء الرئيسيات ..

ألم يقولوا يومًا إن الشمبانزى أكثر ذكاء من الغوريلا ، واتضح أن هذا خطأ ؟ ألم يقولوا أن خطف الشمبانزى للأطفال خرافة ، ثم تتضح بعدها أن الشمبانزى يخطف الأطفال ويلتهمهم ؟

سمع حفيفًا بين الأشجار فرأى ذكر غوريلا فضى الظهر ، يقف على الجانب الآخر من مجرى الماء .. إنه فى أمان .. فالغوريلا لاتعبر الماء أبدًا (أم أن هذا خطأ آخر ؟)

ظل الذكر يرمقه فى فضول ثم توارى داخل الأحراش .. بعدها رأى غوريلا أصغر حجمًا .. أنثى .. نظرت له .. ثم أشارت بيدها (بيتر تعال دغدغ آمى) ! وثب إلى النهر صارخًا : (آمى) .. وسرعان ما كانت بين ذراعيه ..

★ ★ ★

عادت إلى المعسكر معه .. وكاد (الكيوكيو) يرمونها بالرصاص لولا أن حجب (إليوت) جسدها بجسده .. وسرعان ما تأقلم الجميع مع عودتها ، وراحت تعلن مطالبها .. وضايقها أنهم لم يكن عندهم لبن أو حلوى ..

سألها (إليوت) بالإشارات : « (آمى) لماذا تركت بيتر ؟ »

« بيتر لا يحب آمى » ..

« بيتر يحب آمى ـ أين ذهبت آمى ؟ »

« آمى عند غوريللا طيبة ، آمى تحب » ..

وهنا فهم .. لقد عاشت مع عشيرة من الغوريللات البرية عدة أيام ..

« غوريللات تفعل ماذا ؟ »

« غوريللا تشم آمى »

« آمى تحب غوريللا ؟ »

« غوريللا غبية ، غوريللا لا تتكلم »

« ولماذا عادت آمى ؟ »

« آمى تحب بيتر ، بيتر رجل طيب »

شعر برغبة فى البكاء .. وسرعان ما انقضّ عليها يدغدغها وهى تقهقه ..

* * *

كانت (آمى) مصرة على رأيها : ما هاجم المعسكر ليلاً لم يكن غوريللات ..

بل هى (أشياء شريرة) .. أما الغوريللات فهى طيبة .. وقد استضافتها بينها ..

وترجم (إليوت) المحادثة لـ (مونرو) ..

* * *

اقتاد (إليوت) (آمى) إلى المدينة المفقودة ليرقب تعبيراتها حين ترى أحلامها وقد صارت حقيقة ..

لكن ما حدث لم يكن متوقعًا : لم تبد أى انفعال على الإطلاق .. بل أعطت انطباعًا بالملل وعدم مشاركتها حماس (إليوت) المجنون ..

سألها : « (آمى) تعرف هذا المكان ؟ » ..

« مكان قديم .. مكان سيئ .. آمى تخاف » ..

« لم تخاف آمى ؟ »

« آمى تريد أكل »

ولم يفهم سر استجابتها اللامبالية إلا حين قرأ كتاب تفسير الأحلام لـ (فرويد) فيما بعد .. ويقول فى فقرة منه :

ـ « قد يحدث فى ظروف نادرة حين يواجه المريض

بالحقيقة خلف أحلامه ، أن تكون الاستجابة الموضوعية للحالم نفس الشيء : الملل .. لكن هذا لا يعني أن الحلم خطأ .. بل إن الملل يكون واضحًا جدًا كلما كان الحلم حقيقيًا ، وكان الموضوع شاعرًا بعجزه عن تبديل ما يشعر به .. لذا يجد نفسه وقد قهره التعب والملل واللامبالاة .. وهذا يعبر عن عجزه أمام مشكلة حقيقية يجب تصحيحها »

أى أن (آمى) شعرت أن المدينة خطرة جدًا ، إلى حدّ أن عقلها الباطن أرغمها على نسيان هذه الذكرى ..

★ ★ ★

قضى (إليوت) و(روس) بقية اليوم يدرسان الرسوم ..

وعرفا أن السكان القدامى قد علموا الغوريللا كيف تحرس هذه المدينة وتهشم رأس الغرباء .. ويبدو أن أجيالاً من الغوريللا الرمادية قد توارثت هذه الخبرة وعاشت ها هنا بعد ما رحل السكان ..

ودنا الليل فأعلن (مونرو) أن الوقت قد حان لتحصين المعسكر ..

★ ★ ★

حفروا خندقًا خارج المعسكر وملئوه بالماء من النهر المجاور ..

واحتاجوا إلى أن يضيئوا المعسكر بالأشعة تحت الحمراء وهم يعملون ..

وقالت (روس) :

إن الخندق عقبة هينة ليست بمشكلة .. فقال (مونرو) :

ـ « الغوريللا تمقت الماء .. وقد رأيت غوريللات ترفض عبور مجار أصغر »

وقال لـ (إليوت) :

ـ « راقب قردك جيدًا .. اربطه في خيمتك .. فلو أفزعها الرصاص ليلاً فأنا أكره أن أراها تركض في الظلام هناك ، من الشباب هنا من لا يعرف الفارق بين غوريللا وأخرى .. »

أخذها (إليوت) إلى الخيمة ووضع السلسلة حول عنقها ، والطرف الآخر ثبته إلى الفراش .. وأشار لها : « بيتر يحب آمى » ..

ثم خرج إلى المعسكر الغارق في اللون الأحمر .. والحراس يضعون مناظير الرؤية الليلية ، بينما البنادق

الآلية واقفة على حواملها الثلاثية .. بدا له المنظر غير أرضي .. وثمة شبكة من الكابلات في كل صوب ..

قالت له (روس) مفسرة :

ـ « هذه البنادق مزودة بمجس حراري يجعلها تتجه نحو الهدف أوتوماتيكيًا وتطلق الرصاص .. فتأكد من عدم المرور أمام إحداها .. »

مرت ساعة من الصمت .. الحمالون يتبادلون النكات باللغة السواحلية، لكنهم لا يبتعدون حتى لا تشعر بهم البنادق ..

وفي الواحدة صباحًا نامت (روس) ويدها على مفتاح الإضاءة الليلية .

وفجأة سمع (إليوت) صوت التنفس مرة أخرى ..

سمع الحمالون الصوت كذلك، فصوبوا بنادقهم نحو مكانه .. كان الصوت قادمًا من كل نواحي الغابة .. ودوى صوت طرطشة الماء .. نظر إلى الخندق وإلى أشجار الدغل .. وأدرك أن هناك جذع شجرة يعبر الخندق .. هذا هو سر الصوت ! لقد صنعوا جسرًا .. لقد أساءوا تقدير ذكاء من هم بصدد مواجهته ..

بدأت القردة تصرخ فوق الأشجار عندما انقض

أول المهاجمين .. كان وحشًا ضخمًا رمادي اللون .. اصطدم بالسور الكهربي فانطلق الشرر وفاحت رائحة اللحم المحترق ..

عندها انطلقت البنادق المحمولة الموجهة بالحرارة تهدر .. وكانت كل عاشر رصاصة هي رصاصة تتبّع من الفوسفور الأبيض . لذا تقاطع الأخضر والأبيض والقردة تهجم من كل اتجاه ..

تسلق بعضها غصون الأشجار يبتغين الوثب من علٍ .. فصوب (مونرو) و(كاهيجا) البنادق لأعلى وراحوا يطلقون الرصاص ..

الفوهات تهدر بالطلقات وقد صارت ساخنة جدًا ..

وبدأت الغوريلات تتراجع دون نظام ...

ولفترة ظلت البنادق الموجهة بالحرارة تدور حول محورها بحثًا عن هدف .. ثم هدأت أخيرًا ..

وساد الصمت ..

★ ★ ★

اليوم ١١ : الزنج
٢٣ يونيو ١٩٧٩

١ ـ جوريللا إليوتنسس

في الصباح راح (إليوت) يدرس جثث الغوريللا التي بدأت تتصلب مع حرارة الصباح .. كان لونها رماديًا تمامًا ..

إن لون الغوريللا المعروفة أسود .. الأطفال يكون لونهم بنيًا ثم يزداد سوادًا مع تقدمهم في العمر .. ثم يكتسب الذكر بقعة فضيّة اللون على ظهره في سن العاشرة وهي علامة على النضج الجنسي .. وفي سن الشيخوخة يبدأ لون الشعر يستحيل رماديًا ، إلا أن لون الذراعين يبقى كما هو .. لكن (إليوت) قدر عمر الغوريللات الصريعة بعشر سنوات .. وكان حجمها أصغر من الغوريللا العادية .. بعد هذا قام (إليوت) بتشريح الرأس بحثًا عن (العُرف السهمي) وهو بروز في قمة الرأس يعطي الغوريللا مظهرها المميز ذا الرأس المدبب .. وكان (العُرف السهمي) هنا صغيرًا جدًا ..



فى الصباح راح (إليوت) يدرس جثث الغوريلا التى بدأت تتصلب مع حرارة الصباح ..

ولم يعد (إليوت) يحلم بشىء سوى العودة إلى الوطن بواحد من هذه الهياكل لتدوى شهرته عبر العالم .. وراح يتخيل فى المستقبل ثلاثة أجناس من القردة الإفريقية :

بان تروجلودايتس الشمبانزى .

جوريلا جوريلا الغوريلا .

جوريلا إليوتسس جنس جديد اكتشفه هو ..

وتذكر ـ فى قلق ـ أنه لايملك بذلة رسمية مناسبة ..

كان الجميع مسرورين بنتائج معركة أمس .. وشعروا بقوة التكنولوجيا . لكن (مونرو) ظل محصنًا ضد الغرور .. وقد تفقد الذخائر وأبدى رأيًا غير مشجع :

ـ « إن نظام الليزر جيد ، لكنه يبدد الذخيرة كأنما ليس هناك غد .. لقد قضت غارة البارحة على نصف ذخيرتنا .. »

ثم قال لـ (إليوت) :

ـ « علينا أن نجد طريقة أخرى لمكافحة هذه الغوريلا .. يجب أن نجد حلاً قبل أن تنفد ذخيرتنا .. »

★ ★ ★

٢ ـ النظر عبر القضبان ..

عام ١٩٦٠ أظهرت دراسات الدم القرابة الواضحة بين القرد والإنسان .. ويبدو أن أقرب قرد للإنسان هو الشمبانزى .. وعام ١٩٦٤ تم زرع كلية شمبانزى للإنسان بنجاح تام ..

وفى عام ١٩٧٥ تمت مقارنة الحمض النووى للإنسان والشمبانزى .. واتضح أن نسبة الاختلاف هى ١٪ ..

وفى نفس العام قال عالم الرياضيات (س. ل. برنسكى) :

ـ « لا يوجد شك فى أن الرئيسيات أكثر ذكاء من الإنسان .. من السهل أن نقول إن الإنسان هو الأذكى لأنه هو من بنى حديقة الحيوان ليسجن القرود فيها .. لكننا ننسى أن القردة تعلمت التفاهم معنا ، لكننا لم نتعلم الحديث معها .. عاشت بيننا لكننا لا نستطيع العيش بينها .. »



وجاء الليل ...

وقرر (مونرو) استعمال الغاز المسيل للدموع لتوفير الذخيرة .. وكان أسلوبًا فعالاً .. وأدى لتشتيت الغوريللا ..

وأعلن (مونرو) أن مالديهم من غاز يكفى لإبقاء الغوريللا بعيدًا مدة أسبوع ....

وعند الفجر وجدوا جثتى (مولوى) و (آكارى) .. وفهموا أن هجمة الغوريللا كانت مناورة تسمح لغوريللا واحدة بدخول المعسكر وقتل الرجلين .. وبالبحث وجدوا جزءًا ممزقًا من السور الكهربى وجواره عصا .. لقد استعملت الغوريللا العصا لترفع السور من أسفل صانعة ثغرة ، تسمح لإحداها بالزحف إلى الداخل ..

كان هذا الذكاء صعب القبول .. ولم يكفوا عن اعتبار الغوريللات كائنات غبية ، برغم أنها استطاعت القضاء على ربع أفراد حملتهم ...

★ ★ ★

اليوم ١٢ : الزنج
٢٤ يونيو ١٩٧٩

١ـ الرحيل ..

أشارت (آمى) : « الرحيل نذهب الآن » ..

قال (إليوت) :

ـ « إن (آمى) تنصحنا بـالرحيل .. وأعتقد أنها على حق .. »

قالت (روس) :

ـ « لا تكن سخيفًا .. فنحن لم نجد الماس بعد .. »

نظروا إلى (مونرو) .. وكانوا قد قرروا بشكل ما أنه صاحب القرار الأخير ..

فقال هذا :

ـ « أنا أرغب في الماس كأى واحد آخر .. لكنه لن يفيد إذا هلكنا .. ليس لدينا اختيار وعلينا أن نرحل إذا استطعنا .. »

تساءل (إليوت) :

ـ « ماذا تعنى بـ (إذا استطعنا) ؟ »

ـ « إذا سمحوا لنا بأن نرحل .. »

بدءوا يجمعون حاجياتهم فلم يحملوا إلا القليـل .. وتركوا نطاق الدفاع والخيام وأجهزة الاتصال ، ونظر (مونرو) إلى المعسكر وتمنى لـو كـان يفعل الشيء الصواب .. فالقاعدة الأولى لدى مرتزقة الكونغـو هـى (لاتترك البيت) .. أى أنه من الحمق ترك المعسكر المحصن ودخول الغابة ..

كانوا فى المعسكر مجرد بطٍّ ينتظر الذبح .. لكن المرتزقة كانوا يقولـون كذلك : إن بطـة تنتظر الذبح لخير من بطة ميتة ..

مشوا فى غابة الأمطار .. طابور هزيل هو أو هـى تشكيل دفاعي ممكن لو مشوا ساعة لوصلوا إلى جبـل (موكنكو) وتكون النجاة أكيدة ..

عندها سمعوا صوت التنفس والتنهد إياه قادمًا من وراء الأشجار .. تصلب الجميع .. فالمكـان مناسـب للكمائن تمامًا ..

وتساءل (مونرو) فى سره : كم مـن الغوريـلات خلف هذه الأشجار ؟ عشرين ؟ ثلاثين ؟ ونظر لـه (كاهيجا) متسائلاً .. فقال بعد تفكير :

ـ « فلنعد ! »

واستداروا راجعين إلـى معسكرهم .. وبدأ صوت التنفس يتوارى ..

وعندهـا عـرف (مونـرو) الحقيقـة .. لـم يعـد بوسعهم الرحيل ..

★ ★ ★

٢ـ العُزلة ..

كانت لدى (روس) أخبار سيئة .. فقد حاولت الاتصال بـ (هوستون) منذ ساعة دون جدوى . وقالت :

ـ « إن اليوم هو ٢٤ يونيو .. ومنذ سبعة وعشرين يومًا فقدنا الاتصال بحملة ERTS الأخيرة .. »

لم يفهم (إليوت) ما ترمى إليه ، فقال (مونرو) :

ـ « إنها تقول لك : إن السبب متعلق بالشمس .. »

قالت (روس) :

ـ « نعم .. إن الشمس تحدث تغيرات فى طبقة (الأيونوسفير) ـ وهى طبقة على ارتفاع ٢٥٠ ميلاً فوق الأرض تتكون من أيونات ـ ويحدث هذا الخلل نتيجة ظواهر مثل بقع الشمس .. والشمس تدور كل سبعة وعشرين يومًا ، لهذا يتكرر الخلل مرة كل شهر .. وفى العادة لا يمتد أكثر من يوم ، لكن الواضح أنه قد يطول هذه المرة .. ومعنى هذا أننا معزولون تمامًا عن العالم الخارجى .. »

★ ★ ★

إن سبب التشويش الشمسى غير معروف .. لكن البقعة الشمسية هذه المرة كانت هائلة الحجم يبلغ قطرها عشرة آلاف ميل ، وقد أثرت فى خطوط التحليل الطيفى الخاصة بالكالسيوم والألفا ـ هيدروجن ..

ولم تؤثر البقعة فى الإرسال التجارى العادى .. لكنها أفسدت الإرسال ذا الترددات المنخفضة كالتى تستعملها الـ ERTS ..

بالإضافة لذلك كانت هناك إشارات مقلقة حول ثورة بركان (موكنكو) فى الساعات التسع الماضية ..

★ ★ ★

وفى الساعة الثالثة توارى (إليوت) و(آمى) وراء الأشجار ..

كان (إليوت) يحمل جهاز تسجيل و(ميكروفونًا) .. وراح يسجل أصوات الغوريللا فى الجبال ، وراح يعتمد على (آمى) فى ترجمة هذه الأصوات إلى لغتنا .. كان مجهودًا شاقًا واعتماده عليها كالكابوس .. فهو بين يدى حيوان لا يمكن فهم أفكاره .. لكنه أنجز العمل بعد ساعات ..

أما (مونرو) فكان منهمكًا فى تحصين المعسكر ضد هجمة الليلة ، التى لديه أسباب كافية لينتظرها فى رعب ..

بدأ بتوسيع الخندق .. ثم حفر مصائد للفيال خارج المعسكر ، وملأها بأوتاد حادة ثم غطاها بالأوراق والغصون ..

كما قطع غصون الأشجار المحيطة بالمعسكر كى لاتتسلقها الغوريللات .. وأبعد الجذوع عن الخندق كى لايتم استعمالها كجسور ..

ثم وزع السلاح على رجاله ، وزاد قوة السور إلى ٢٠٠ أمبير ، وهذا كاف ليحول السور إلى حاجز قاتل ..
وعند الغروب اتخذ أصعب قراراته .. فقد وضع ما بقى من ذخائر داخل البنادق الموجهة بالحرارة ..

وحين تنتهى هذه لن يكون أمامه سوى الاعتماد على خطة (إليوت) ..

★ ★ ★

٣ ـ الدفاع الأخير ..

سأل (مونرو) (إليوت) :

ـ « بعد كم من الوقت تغدو مستعدًا ؟ »

ـ « بعد ساعتين .. »

وكانت (آمى) شديدة الفخر بنفسها شاعرة بأهميتها ..
بينما راح (إليوت) يحصر قائمة الكلمات التى تستطاع أن يعرف معناها من (آمى) .. وهى اثنتا عشرة كلمة .. وقام بوضع الأصوات المسجلة فى ذاكرة الكمبيوتر ، وصنع حلقة برمجية تردد الأصوات مرارًا ، وتنقلها إلى مكبر صوت صغير ..

هنا نظر (كاهيجا) لأعلى وأشار بإصبعه ، وكان (مونرو) قد شعر بالشىء ذاته .. رطوبة الجو الثقيلة والإحساس الملموس بالكهرباء .. إن المطر قادم ..

لكن (مونرو) كان يسمع كذلك هديرًا عاليًا بعيدًا من العسير أن يكون رعدًا .. لقد سمع هذه الأصوات من قبل ويعرف معناها .. (موكنكو) ..

ونظر إلى (إليوت) و(روس) وهما جالسان أمام

الكمبيوتر يتناقشان .. كأنما يملكان كل الوقت فى العالم .. كان (إليوت) يحاول أن يجمع أصوات الغوريلا معًا ليخلق منها جملة ذات معنى .. والمشكلة هنا أن الغوريلا لا تستعمل اللغة بمعناها المعروف .. بل هى تستعمل خليطًا من الصوت والإشارات كما يفعل الإيطاليون فى محادثاتهم .. لهذا حاول أن يختار الأصوات التى لا تحوى إشارة ما ، وصمم جملاً مثل (خطر هنا) و(ابتعد) و(نذهب الآن) .. ثم قام بتركيبها ليذيعها الكمبيوتر بشكل تكرارى ..

سأله (مونرو) :

- « هل تظن هذا سيعمل ؟ »

- « لا طريقة للتيقن دون تجربة .. »

كانت هناك دستة اعتراضات فى ذهنه .. هل تصل الرسالة دون إشارات ؟ هل التسجيل واضح ؟ هل تستجيب الغوريلات لصوت أنثى ؟ هل ؟

وهنا سمعوا صوت التنفس من وراء الأشجار ..

وفجأة انهمر شلال مطر فوقهم .. وسرعان ما ابتلّ مكبر الصوت الهشّ .. وحدث ماس كهربائى فى الأسلاك المحيطة بالسور فتلف تمامًا .. وانفجر اثنان من مصابيح الضوء .. وتحولت الأرض إلى وحل ..

أما الأسوأ فهو حاجتهم إلى الصراخ ، وبالتالى لن تسمع الغوريلا مكبر الصوت ، والأمطار تبدد الغاز المسيل للدموع ..

وبعد خمس دقائق هجمت الغوريلات .

★ ★ ★

تهاوى السور .. وسرعان ما دخلت الغوريلات المعسكر .. وكان هجومها عنيفًا منظمًا .. وبدا منظرها مريعًا وقد اختلط شعرها بالماء فبدا كالعجين .. ورأى (إليوت) خمس عشرة منها داخل المعسكر تمزق الخيام .. وتركل حاملات البنادق ، فتسقط فى الوحل تتلوى كحيوان جريح ..

وهوى (عزيزى) - أحد الحمالين - فى الطين وقد تهشمت جمجمته .. بينما أطلق (مونرو) و(روس) و(كاهيجا) الرصاص .. لكن تصويبهم لم يكن على ما يرام ..

ضغط (إليوت) زرّ الكمبيوتر لإذاعة الصوت المسجل ..

كان كل امرئ فى المعسكر فى ورطة الآن ..

فـ(مونرو) على ظهره وفوقه غوريلا .. بينما (كاهيجا) يقاوم الأنياب المغروسة فى صدره ..

و (روس) غير ظاهرة .. ومرّ (موزيزى) أمام مجال بندقية . فأفرغت طلقاتها فيه .. صرخ واهتز ثم هوى للأرض ..

ولم يسمع (إليوت) من السماعة سوى صوت خدوش ، فلم تبال به الغوريللات على الإطلاق .. عندها أدرك أنهم ضاعوا ..

وانقضت غوريللا تزأر عليه .. فغطت (آمى) عينيه بكفيها خائفة .. أبعد كفيها عنه .. وهنا رأى الغوريللا تقف .. تصيخ السمع بينما هو راقد فى الوحل ..

جلس مذهولاً .. وأدرك أن المطر قد توقف وغدا الصوت مسموعًا ..

ورأى غوريللا أخرى تتوقف لتصغى .. لقد صار الصوت واضحًا الآن .. التقط أنفاسه ولم يجرؤ على الأمل ..

وكان الأمل صحيحًا .. إذا بدأت الغوريللات ـ كلها فى غيبوبة ـ تتراجع فى بطء واحدة خلف الأخرى .. وسرعان ما غادروا المعسكر ليدخلوا إلى الدغل من حيث جاءوا ....

★ ★ ★

اليوم ١٣ : موكنكو
٢٥ يونيو ١٩٧٩

١- الماس ..

فى الصباح غطى الرماد الأسود المعسكر .. وعن بعد كان (موكنكو) يتجشأ كميات هائلة من الدخان ..
وأشارت (آمى) لـ (إليوت) قائلة : (نرحل الآن) ..

لكنه لم يكن ذا خبرة بالنشاط البركانى .. لكن (موكنكو) لم يكن مثيرًا للقلق بشكل خاص ، فهو يفعل ذلك منذ وصلوا إلى (فيرونجا) ..

وكان (مونرو) يعرف البراكين جيدًا ، وقد شهد ثورة (مبيوتى) عام ١٩٦٨ فى الكونغو .. وقد أحس بثورة مقبلة من (موكنكو) .. إن سلوك البراكين لا يمكن التنبؤ به .. فـ (موكنكو) يثور من آلاف السنين لكن حممه تنحدر إلى الجانب الآخر وهذا هو سر بقاء المدينة سالمة حتى اليوم .

لكن هذا لا يعنى ألا خطر هنالك .. فقد يجدون أنفسهم وسط ثورة البركان .. عندها لن يكون الخطر من الحمم ، فهى تتحرك ببطء شديد ويمكن الهرب منها جريًا .. الخطر يأتى من الرماد والغازات التى تخنق

لأنها أثقل من الهواء .. ومدينة الزنج منخفضة ويمكن أن يملأها الغبار البركانى خلال دقيقة .. وأثار دهشته أن (روس) لم تبد قلقة على الإطلاق ..

ومن وقت لآخر كانت اهتزازات عنيفة تحدث ..

★ ★ ★

إن علاقة الماس بالبراكين معروفة منذ قرن ..
فالماس - وهو بللورات من الكربون النقى - يتكون فى حرارة عالية وضغط مرتفع ، فى طبقة (المانتل) على عمق ألف ميل تحت قشرة الأرض ، وبهذا يغدو الحصول على الماس مستحيلاً ما لم يثر بركان فتحمله طبقات (الماجما) إلى أعلى ..

وأغلب مناجم الماس توجد جوار براكين خامدة ، فى أنفاق حفرية تسمى (أنابيب كيمبرلايت) .

وتقع (فيرونجا) قرب الوادى المتصدع غير المستقر جيولوجيا .. وهى تشهد نشاطًا بركانيًا منذ خمسين مليون سنة ..

لهذا وجدوا عددًا من الأنفاق - عند الظهر - فى شرق المدينة .. وتقول (روس) : لقد حسبونى جننت

لأنني رحت أثب وأصيح .. لكنهم لم يعرفوا أن هذه كانت أنابيب (كيمبرلايت) ..

وراحت تنبش في الجدران .. واستخرج (مونرو) ستمائة قيراط من الماس ، بينما وجدت (روس) ماهو أكثر ..

لقد كان منجمًا أكثر ثراء من الـ (برميير) في جنوب إفريقيا ..

- « إذن فالمنجم ما زال حيًا .. لا بد أنها ثورة الغوريلا كما قلت .. »

قالها (مونرو) وهو يملأ جيبه بقطع الماس ..

لكن (روس) كانت تعرف الحقيقة .. فبالنسبة لسكان الزنج القدامى لم يكن لهذا الماس قيمة كأحجار كريمة .. فهو أزرق مليء بالشوائب .. سألها (إليوت) :

- « ما سر أهمية هذا الماس ؟ »

قالت :

- « إنه سيغير وجه العالم .. وسيضع نهاية العصر النووي ليبدأ عصر جديد ! »

★ ★ ★

٢ ـ كل شيء كان يتحرك ..

ـ تحركت الأرض تحت وطأة زلزال قوته ٨ ريختر .. أو ٩ بمقياس (موريللي) .. وبدأت تهتز بعنف حتى إن المرء كان يجد الوقوف مستحيلاً .. وراحت الأشجار تتهاوى ..

بدا الأمر كالكابوس .. وقال (إليوت) فيما بعد :

« كان كل شيء يتحرك واضطررنا للزحف على أيدينا وركبنا .. ورأينا مباني المدينة تتهاوى وجدرانها تضمحل والضوضاء لا تصدق ..

« لكن البركان لم يكن يزأر .. بل كانت الحمم تتدفق من قمته في وفرة .. وحدثت موجات تصادم أطارتنا أمتارًا إلى الوراء .. »

وأصيبت (آمي) بالهلع ووثبت بين ذراعي (إليوت) ، وبالت فوق ثيابه وهم يركضون نحو المعسكر .

كانت السماء سوداء كالليل .. لكن الهواء المشبع بالرطوبة أدى إلى حدوث صواعق كهربية .. وشعرت

(روس) بتناقض بين رغبتها الجيولوجية فى رؤية هذه الظاهرة الفريدة ، ورغبتها فى الفرار بحياتها ..

وهوى لسان برق ليضرب أحد الحمالين .. فلم يصرخ .. فقط تألق بلون أبيض ثم هوى أرضًا ، ورائحة الكهرباء واللحم المحترق تنبعث منه ..

وفى المعسكر وجدوا (كاهيجا) يحاول جمع الخيام للرحيل لكن هذا كان مستحيلاً .. واحترقت إحدى الخيام بلسان برق ..

- « دعْ هذا حالاً ! »

صرخ (مونرو) .. ونظروا ليجدوا (روس) وقد اسودّ نصف وجهها واحترق ذراعها .. فقد ضربها البرق برغم أنها لا تذكر ذلك ...

- « هلموا نصعد إلى الجبال .. »

وسمعوا صوت الغوريللات المحترقة تصرخ حين بلغتها الحمم . وسرعان ما انهار ستار الأشجار المحيط بالمدينة .. وفى النهاية غاصت المدينة كلها فى سحابة سوداء ثم اختفت ..

لقد دفنت مدينة الزنج المفقودة للأبد .. ومعها دفن الماس ..

★ ★ ★

٣ - الكابوس ..

لم يكن لديهم طعام ولا ماء .. ومعهم قليل جدًا من الذخيرة .

وقد دخلوا الغابة بثياب محترقة ممزقة ، لا يكادون أن يتبادلوا الكلام .. العالم كالح عديم اللون .. السماء سوداء تلتمع فيها شرارات حمراء ..

وهم يمشون فى عالم من (السناج) ..

(مونرو) يشعر بإحباط المقامر الذى راهن بالطريقة الصحيحة لكنه خسر . لقد كان محقًا حين تجنب فريق (الألمان - اليابانيين) .. كان محقًا حين اختار FRTS .. وبرغم هذا هو صفر اليدين .. ليس تمامًا فهناك بعض الماس فى جيبه على كل حال ..

أما (إليوت) فراح يرمق جنون الطبيعة .. الطيور تهوى من السماء مختنقة والوطاويط تحلق ظهرًا .. والفهود تصرخ .. لقد عاد دون هيكل عظمى أو صور أو شرائط فيديو .. ومن دون هذا لن يجرؤ حتى على الحديث عن اكتشافه ..

كانت خطة (مونرو) هى الوصول إلى طائرة المنافسين التى وجدوا حطامها منذ أيام .. فيها الطعام والذخائر ..

استغرقوا ست ساعات حتى وصلوا هناك ، فوجدوها مغطاة بالغبار الأسود .. ومن بعيد يسمعون طلقات مدفعية (موجورو) وطبول (الكيجانى) تحركوا إلى الأمام .. لكن (آمى) كانت خائفة وأشارت لـ (مونرو) مرددة ..

« لاتذهب ناس هناك » .. ترجم له (إليوت) ماقالت فقطب وانتظر ..

وبعد دقائق ظهر رجلان من (الكيجانى) على جناح الطائرة يحملان بعض صناديق الويسكى ، ويحاولان انزالها لأسفل ..

ثم ظهر خمسة رجال من داخل الطائرة .. وتحركت المجموعة مبتعدة ..

نظر (مونرو) إلى (آمى) وابتسم ... فأشارت له « آمى غوريللا طيبة » انتظروا عشرين دقيقة ثم تحركوا إلى الطائرة ودخلوها ..

فجأة راحت السهام البيضاء تنطلق نحوهم ..

أغلق (مونرو) الباب فراحت هذه تصطدم بالمعدن ..

كان داخل الطائرة مظلمًا .. والقاع منحدرًا بزاوية مجنونة .. وحين نظروا من النافذة رأوا نصف دستة من الرجال المدهونين بلون أبيض يتسلقون الأشجار ..

تساءلت (روس) :

ـ « ماذا نفعل ؟ »

قال (مونرو) وهو يفتح صندوق ذخيرة :

ـ « نقتلهم طبعًا .. فلسنا نعانى أزمة ذخائر .. »

ـ « لكنهم كثيرون .. »

ـ « نعم .. لكن رجلاً واحدًا يهمنا الآن .. احرصوا على قتل الرجل الذى يرسم خطوطًا حمراء تحت عينيه .. فهذا هو (الأنجاوا) الساحر .. عندها نخرج من ورطتنا .. »

راح (الكيجانى) يرمون الطائرة بسهامهم وبرازهم الذى راح يرتطم بجدارها المعدنى .. بينما الطبول تدق باستمرار ..

راحت (آمى) ترتجف ، وربطت نفسها إلى المقعد وأشارت :

« آمى ترحل الآن طائر يطير » ..

ووجد (إليوت) رجلين فى مؤخرة الطـائرة .. ولدهشته أطلق عليهما الرصاص دون تردد فتنـاثر الدم ليلوث النوافذ ..

ـ « هذا رائع يا دكتور ! »

قالها (كاهيجا) وهو يربت على كتفه .. وراح (الكيجانى) يتسلقون جسد الطائرة ويحاولون الدخول من باب البضائع .. فصاح (مونرو) :

ـ « لو قبضوا عليكم لأكلوكم ! »

أطلقت (روس) رصاصها .. وتبعثر الدم فى كل مكان .. وتهشمت النوافذ ..

ـ « ها هو ذا الوغد ! » ـ صرخ (مونرو) على شاب فى العشرين رسم خطوطًا حمراء تحت عينيه .. وأطلق الرصاص ـ « لقد قتلته ! »

سقط الفتى على الأرض .. فكف (مونرو) عن إطلاق النار وجلس تاركًا المحاربين يحملون جسد ساحرهم فى صمت .. ويغادرون الطائرة ..

لقد انتهت غارة (الكيجانى) ..

★ ★ ★

سأله (إليوت) :

ـ « هل كسبنا الحرب ؟ »

فقال (مونرو) :

ـ « سينتظرون حتى الليل ثم يهاجمون من جديد .. »

لم يكن هناك حلّ سوى مغادرة الطـائرة .. أو الاحتماء بها كحصن ، وهذا يقتضى إحراق بعض الأشجار لإخلاء مساحة حولها ..

وطلب من (كاهيجا)البحث عن علب الوقود ..

هنا سمع صرخة (روس) .. فجرى ليرى ما دهاها ..

وجدها جالسة على مقعد تضحك فى هستيريا .. والرجال حولها حائرون .. كان (كاهيجا) جالسًا جوار خزان كبير كتب عليه (بروبان) .. وقال :

ـ « إنها رأت هذا وسألتنى عن المزيد .. فقلت لها إن هناك ستة خزانات منه .. عندها راحت تضحك .. »

قطب (مونرو) وبدأ يفهم :

ـ « إنها كمية هائلة من الغاز .. لقد فهمتُ .. »

ـ « هلا شرح لى أحدكم معنى هذا ؟ »

ـ « معناه أن الأمور تتحسن .. »

★ ★ ★

مدفوعين بخمسين ألف رطل من الهواء الساخن ، بدءوا يرتفعون فى منطاد المنافسين .. وحلقت الكرة العملاقة فى ظلام الغابة ..

جاء (الكيجانى) يركضون نحو المنطاد .. وأطلقوا عليه سهامهم ورماحهم لكنه كان قد ارتفع عن مجالها ..

وعلى ارتفاع عشرين قدمًا جاءت ريح شرقية حملتهم فوق الوادى المتصدّع .. وانحدر المنطاد جنوبًا فى ضوء القمر ..

نحو (كينيا) .. ونحو الحضارة ..

مايكل كرشتون

١٩٨٠



[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٢٥٥٧
٩٧٧-١٦٣-٣٩٤-٥

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

كونغو ..!

23

برغم تقنيات الكمبيوتر والقمر الصناعى والتقدم فى الاتصالات : فإن الكونغو مازال موضعًا خطرًا نجهل عنه الكثير .. وفى هذه الرواية الممتعة نرى المواجهة بين الليزر والغوريلا .. بين الاستشعار عن بعد والبراكين .. بين القمر الصناعى وآكلة لحوم البشر .. بين التقدم العلمى الذى لايرحم والطبيعة التى لاتمزح .. !

العدد القادم
كلب آل باسكرفيل



فى سائر الدول العربية والعالم